مقدمة

علاقات مصر بليبيا قديمة قدم التاريخ حيث عرف الفراعنة أهل ليبيا واتصلوا بهم منذ الأسرة الثالثة وكانت مصر ترسل الحملات لاخضاع الليبيين واجبارهم على دفع الجزية فى عهد الدولتين الوسطى أوالحديثة ، وفى عهد رمسيس الثالث توغل الليبيون فى أراضى مصر ووصلوا الدلتا ، وبالرغم من هزيمتهم فانهم استوطنوا الدلتا . وكانوا يصلون الى مصر فى شكل هجرات سلمية وفى ظل حكم البطالمة دانت لهم مصر وبرقة ، وانتقل القطران سويا الى حكم الرومان فى عام ٣١ ق.م.(١) .

وبعد الفتح العربى بدأ سكان القطرين يتكلمون اللغة العربية ويدينون بالدين الاسلامى وجاءت الدولة العثمانية لتفرض سيطرتها على القطرين وتؤكد الروابط التاريخية بينهما ، وظلت الأمور على

---

(١) لمزيد من الدراسة عن تاريخ المنطقة فى العصور القديمة يمكن الرجوع الى زينب محمد عبد العال : مصر وليبيا منذ أقدم العصور حتى نهاية الدولة الحديثة ، رسالة ماجستير غير منشورة بمعهد البحوث والدراسات الافريقية ١٩٧٥ وايضا كتاب ليبيا فى التاريخ من المؤتمر التاريخى لكلية الآداب ــ جامعة ليبيا الفترة من ١٦ ــ ٢٣ مارس ١٩٦٨ .

هذا الزوال حتى احتلت ايطاليا ليبيا في أوائل القرن العشرين(١) .

وسوف نحاول في هذا الفصل أن نوضح علاقات مصر بدولة ليبيا في العصر الحديث وفي البداية سنعطى فكرة سريعة عن الدعوة السنوسية ونشأتها وتطوراتها وعلاقات مصر بها منذ أن رحل الى ليبيا مؤسس الدعوة في أوائل القرن التاسع عشر ، ثم نتتبع موقف مصر من الغزو الايطالي لليبيا في الفترة السابقة للحرب العالمية الأولى ، ثم موقف مصر من الحركة السنوسية أثناء الحرب العالمية الأولى وموقفها من الحركة في فترة ما بين الحربين العالميتين ودور مصر فيما دار تجاه القضية الليبية بعد الحرب العالمية الثانية وأخيرا دور مصر من القضية الليبية حتى تحقق استقلال ليبيا .

وهذا الفصل ما هو الا محاولة لتوضيح دور مصر الثقافي والحضاري بالاضافة الى جهودها من أجل الأشقاء العرب في كل انحاء الوطن العربي وتأييدها لهم في كفاحهم ضد الاستعمار الأوروبي .

أولا : نشأة الدعوة السنوسية في ليبيا وموقف مصر منها

كانت الدعوة السنوسية في القرن التاسع عشر كاحدى الحركات الاصلاحية التي انتشرت في العالم العربي فتأثرت بالحركة الوهابية الكبرى في الجزيرة العربية وقد اتفقت جميع الحركات الاصلاحية على التجمع في الدولة العثمانية وكان الدافع اليها احساس مؤسسيها بانحطاط المسلمين وتأخرهم .

أما عن الحركة السنوسية فقد بدأت في الربع الثاني من القرن

(١) علي ابراهيم عبده : مصر وافريقيا في العصر الحديث ، القاهرة ١٩٦٢ ، ص ١٤١ .

التاسع عشر وكان الدافع الأساسي لها احساس مؤسسها محمد بن علي السنوسي بتخلف المسلمين وتأخرهم وبتعدي أوروبا لهم(٣) .

وترجع الطريقة السنوسية الى السيد محمد بن علي السنوسي الخطابي الحسني الادريسي الذي ولد في بيت علم وفضل ، وكان والده يجمع بين العلم والصلاح والتقوى وكان الشيخ منذ نعومة أظفاره يميل الى الانزواء والعزلة ولقد كان مكبا على تحصيل العلم ، وذهب الى مدارس مستغانم ثم انتقل الى جامع القرويين في فاس حيث أقام سبع سنوات (١٨٢٢ ـ ١٨٢٩) ورحل منها الى زوايا الاخوان من الطرق القادرية والشاذلية والدرقاوية والناصرية وسافر هنا وهناك بحثا عن العلم والمعرفة حتى استقر به المقام في عين مهدي حيث درس الطريقة التيجانية وتوجه الى الأغواط حيث كانت الطريق الى الصحراء وتجمع القوافل من السودان الغربي ، وقد مكث هناك فترة من الزمان يلقي الدروس في الفقه والشريعة(٤) .

ورحل السنوسي بعد ذلك الى مصر وبعدها الى قابس وطرابلس الغرب عام ١٨٣٠ ، وأخيرا قرر أن يرحل الى مصر لكي يبلغ دعوته لأعظم الجماهير في الديار الاسلامية وللتعرف على الأزهر الشريف . وكانت القاهرة عندما وصلها السنوسي في ظل حكم محمد علي ، وكان الأزهر في تلك الفترة في حالة الركود والجمود ، والالتزام بالتقاليد ولقد انساق العلماء وراء المناصب الدنيوية ، وتمسكوا بالتقاليد والمغــــوا الطرق عن الصوفية المنحرفة التي سادت البلاد حينذاك(٥) .

(٣) أحمد صدقي الدجاني : الحركة السنوسية ، القاهرة ١٩٦٧ ، ص ٤٥ .
(٤) شكري محمد فؤاد : السنوسية دين ودولة ١٩٤٨ ، ص ١٤ .
(٥) أحمد صدقي الدجاني : مرجع سابق ، ص ٩٣ .

اخذ الشيخ السنوسي عن كبار العلماء امثال الشيخ العطار والامير والتونسي والتونسي والصـــاوي ، بعد ان اخذ منهم قرر القيام بالتدريس في الازهر ، ولفت الانظار بصوفيته وتقواه وجرأته في معالجة القضايا الفقهية ولما كان السنوسي شديد التمسك برأيه مستقلا في تفكيره معتدا بشخصيته وعلمه فقد صار موضع خلاف من العلماء الذين كانت تربطه بهم روابط وثيقة ولذا لم يجد في الازهر بغيته المنشودة ، وزادت متاعبه وقد اعتبره علماء الازهر متطرفا في ارائه الدينية وفي تعاليمه ووصل الامر الى حد ان طلب الشـــيخ العليشي من المسلمين الابتعاد عنه لانه مبتدع في الدين(٦) .

وعلى اثر هذا الحادث قرر الســـنوسي الرحيل عن القاهرة والذهاب الى بلاد الحجاز ، ومما لاشك فيه أن زيارته للقاهرة ، قد احدثت في نفسه تبدلا عظيما وتغيرا كبيرا وارتسم في ذهنه ان الدولة العثمانية في الطريق الى الاضمحلال والانحلال ومن هنا ارتبط تفكيره بعملية احياء العالم الاسلامي رأى من الضروري وجود المصلحين الذين يقومون بنشر الدعوة .

وفي الحجاز بدأت الدعوة السنوسية تتبلور وتتضـــح اهدافها وكان للذهاب الى الحجاز اثره في قيام الدعوة السنوسية وعلو شـــأنها حيث وقف الســـنوسي هناك على الكثير من المعلومات عن احوال المسلمين واخلاقهم ، وهناك في بلاد الحجاز انشأ الشيخ محمد ابن علي السنوسي زاويته في جبل ابي قبيس عام ١٨٣٧ فكانت اولى الزوايا السنوسية .

وفي هذه الزاوية اخذ يلقي دروسه وينشر تعاليمه ، ولكنه اضطر الى مغادرة مكة عام ١٨٤٠ فقرر العودة الى برقة لاجل انشاء الزوايا

(٦) سمير فؤاد شكري : المرجع السابق ، ص ١٦ .

١١٠

في مختلف البلدان ويعتبر رحيل السنوسي من الحجاز الى برقة بداية انتشـــار الدعوة السنوسية في ليبيا ففي عام ١٨٤٣ انشأ الزاوية البيضاء في الجبل الاخضر فصارت ام الزوايا السنوسية(٧) .

وكان السنوسي قد فكر لفترة في ان يتخذ من بني غازي مركزا لحركته لكنه خشي الاصـــطدام بالاتراك العثمانيين فقرر البقاء في الزاوية البيضاء(٨) .

واختلفت الآراء حول اختيار ليبيا بالذات كمقـــر لحـــركته وخصوصا منطقة الجبل الاخضر ، ولعل هناك اسبابا كثيرة لهذا الاختيار منها الموقع الممتاز ، وعدم اثارة مشكلات مع العثمانيين ومنها ايضا ان هذه البيئة صالحة للنشـــر الدعوة السنوسية بين السكان البدو(٩) .

وجاء السنوسي الى مصر مرة ثانية عام ١٨٤٠ ونزل عند الشيخ محمد بوراده وارسل الى الاخوان يطلب منهم الدخول الى البلد ونزلوا عند الشيخ عمر الزواوي في بولاق حيث اقاموا هناك ثلاثة اشهر وفي اغسطس من نفس العام غادر مصر واتجه الى الفيوم ومنها الى البهنسا ، وسار حتى وصل واحة سيوه واقام هناك ثلاثة اشهر ومرض هناك بالحمى وبعد ذلك انتقل الى اوجلة وسار بعد ذلك الى برقة الحمراء ونزل عند قبيلة الواطي ومن هناك رحل الى برقة

(٧) شوقي زيادة : ليبيا من الاســـتعمار الايطـــالي الى الاســـتقلال ، القاهرة ١٩٥٨ ص ٦٦ .
وايضـــا
Pritchard, Evans : The Sanusi of Cyrenaica, Oxford 1949, P. 11.

(٨) الاشهب الطيب محمد : برقة العربية ، ١٩٤٧ ، ص ١٤٠ .
(٩) شوقي الجمل : المغرب العربي الكبير في العصر الحديث ، ص ١٤٤ .

١١١



البيضاء وقد تميزت هذه الفترة منذ مغادرة القاهرة حتى وصوله الى الزاوية البيضاء اي الفترة من [illegible] ١٨٤١ حتى [illegible] ١٨٤٦ بالنشاط الواسع في دعوة الشيخ ونشاطه لنشر الدين الحنيف [illegible] الاخوان [illegible] للدعوة الى الدين الاسلامي في قلب الزوايا .

وفي اوائل [illegible] ١٨٤٦ ذهب الى قابس لكن لم يمكث بها طويلا حيث اتجه الى طرابلس ومنها الى البيضاء حيث اسس الزاوية الثانية وفي عام ١٨٤٦ غادر السيد ادريس برقة قاصدا الحجاز حيث اقام هناك ثماني سنوات ، وفي عام ١٨٥٤ غادر السيد السنوسي الكبير اراضي الحجاز قاصدا الجبل الاخضر واشتغل بعد ذلك في انشاء الزوايا بكافة ارجاء ليبيا(١٠) .

وانتشرت الزوايا بعد ذلك في تونس ومصر وبلاد المغرب وفزان وتشاد والسودان ، وقد بلغ عدد الزوايا في اواخر ايامه اثنتين وعشرين زاوية منها ثماني عشرة في برقة وحدها . ونظرا لان الزاوية البيضاء قريبة من الساحل وخوفا من الاحتكاك مع السلطات العثمانية فقد قرر ان ينقل المقر ، ووقع اختياره على واحة الجغبوب التي تقع في مكان تكثر فيه القبائل العربية المستقلة والتي قبلت الدعوة السنوسية ودخلت في عداد الاخوان السنوسيين .

وهكذا كانت السنوسية عند وفاة السيد محمد بن علي السنوسي الكبير قد وطدت دعائمها وانتشر نفوذها وارست قواعد الدين الاسلامي(١١) .

(١٠) محمد فؤاد شكري : مرجع سابق ، ص ٢٩ .
(١١) [illegible] السنوسية منذ بداية الحركة اربعة [illegible] وهم السيد محمد بن علي السنوسي (١٨٣٧ – ١٨٥٩) وابنه السيد المهدي ١٨٥٩ حتى ١٩٠٢ وبعده السيد احمد الشريف ١٩٠٢ حتى ١٩١٨ واخيرا [illegible] ادريس السنوسي منذ عام ١٩١٨ حتى قيام الثورة .

وهكذا قامت الامارة السنوسية على عدة اسس اهمها العامل الديني بعقيدة احياء الملة واصلاح احوال المسلمين ثم العامل الاجتماعي بعقيدة نشر فضائل الاسلام عن طريق انشاء الزوايا وكذلك العامل السياسي الذي كان يهدف الى اقامة الامارة السنوسية وكان ، السنوسي الكبير يعتبر باب الاجتهاد لم يغلق ، ولذا يجوز الاجتهاد على ان يقتصر في الاسلام على الاساسين الاولين وهما الكتاب الكريم والسنة النبوية(١٢) .

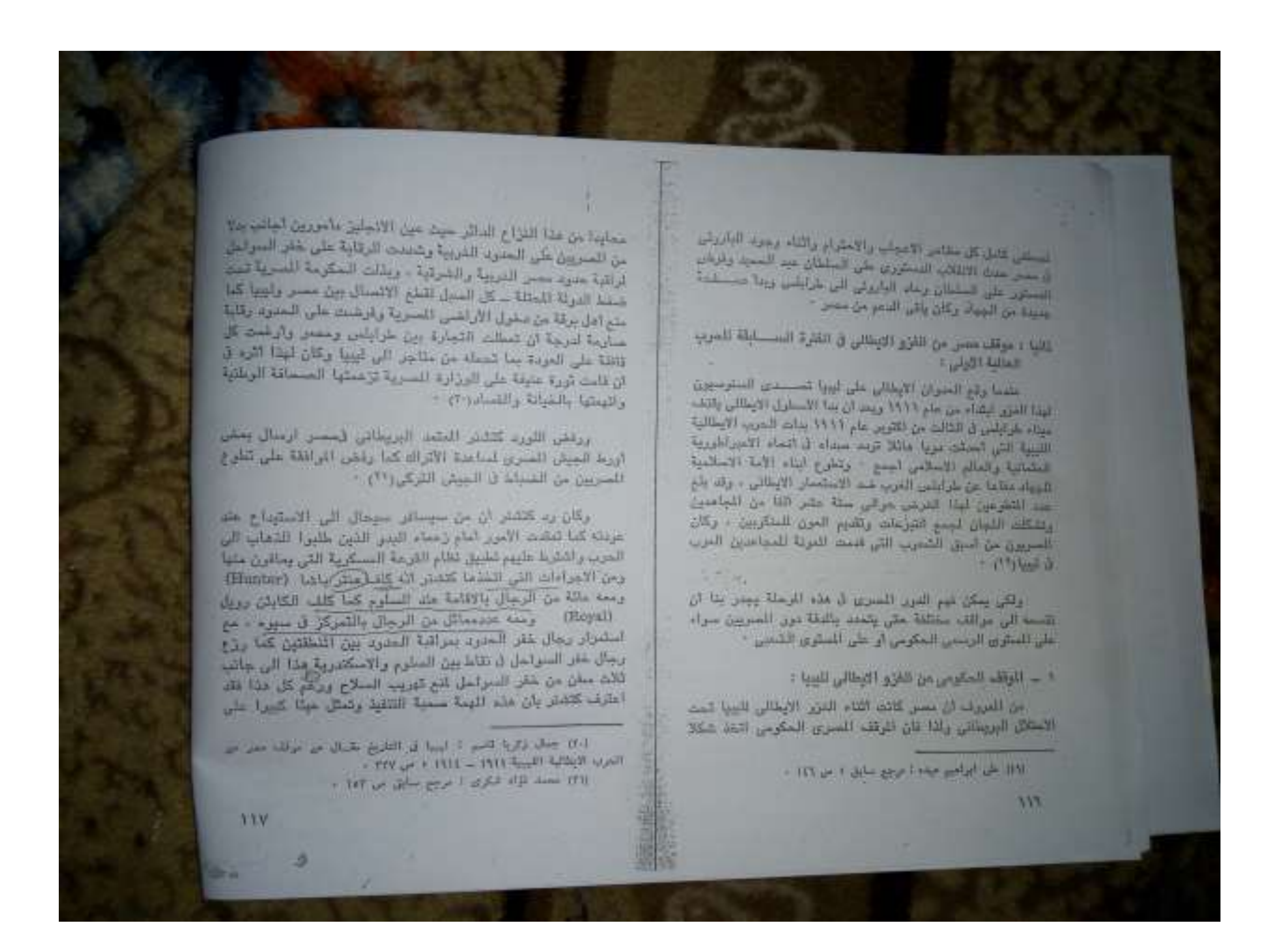
ولقد خرجت الامارة السنوسية الى حيز الوجود واصبحت لها مكانتها منذ ان لجأت اليها الدولة العثمانية لاصلاح ذات البين بين العرب والترك . وهكذا قربت الدعوة الى احياء العالم الاسلامي واحتلت مكان الصدارة ، وكان انشاء الزوايا وربطها بالزاوية الكبرى في الجغبوب من الاسس القوية التي وطدت الامارة وجعلت لها السيطرة على اتباعها في الاقطار التي انتشرت فيها(١٣) .

وبعد وفاة السيد المهدي الكبير مؤسس الطريقة تولى ابنه السيد محمد المهدي وقد ترعرعت الامارة في عهده ، وامتد نفوذها في الاقطار الليبية وما جاورها من بلاد واقاليم واتجهت السنوسية منذ البداية الى الابتعاد بالحركة وابتعادها عن مجال السياسة حتى لا يصطدموا بالسلطات الحاكمة او بالقوى المتصارعة(١٤) .

انتقل السيد محمد المهدي الى زاوية الكفرة عام ١٨٩٠ وكان السنوسيون دائما على استعداد للدفاع عن هذه الواحة وكان كل رجل منهم مزودا بالسلاح الكامل الى جانب عدد من المدافع يتراوح من اربعة الى خمسة عشر مدفعا كان قد تم شراؤها من مصر ثم [illegible]

(١٢) [illegible] زيادة : مرجع سابق ، ص ٧٠ .
(١٣) محمد فؤاد شكري : مرجع سابق ، ص ٥٠ .
(١٤) [illegible] : مرجع سابق ، ص ١٥٩ .





ليستقبل كل مظاهر الإعجاب والاحترام وأثناء وجود الباروني في مصر حدث الانقلاب الدستوري على السلطان عبد الحميد وفرض الدستور على السلطان رجاء الباروني الى طرابلس وبدأ مرحلة جديدة من الجهاد وكان يأتي الدعم من مصر .

ثانيا : موقف مصر من الغزو الايطالي في الفترة السابقة للحرب العالمية الأولى :

عندما وقع العدوان الايطالي على ليبيا تصدى السنوسيون لهذا الغزو ابتداء من عام ١٩١١ وبعد ان بدأ الأسطول الايطالي بقذف ميناء طرابلس في الثالث من اكتوبر عام ١٩١١ بدأت الحرب الايطالية الليبية التي أحدثت دويا هائلا تردد صداه في انحاء الامبراطورية العثمانية والعالم الاسلامي اجمع . وتطوع ابناء الأمة الاسلامية للجهاد دفاعا عن طرابلس الغرب ضد الاستعمار الايطالي ، وقد بلغ عدد المتطوعين لهذا الغرض حوالي ستة عشر الفا من المجاهدين وتشكلت اللجان لجمع التبرعات وتقديم العون للمنكوبين ، وكان المصريون من أسبق الشعوب التي قدمت المعونة للمجاهدين العرب في ليبيا(١٩) .

ولكي يمكن فهم الدور المصري في هذه المرحلة يجدر بنا ان نقسمه الى مواقف مختلفة حتى يتحدد بالدقة دور المصريين سواء على المستوى الرسمي الحكومي أو على المستوى الشعبي .

١ ـ الموقف الحكومي من الغزو الايطالي لليبيا :

من المعروف أن مصر كانت أثناء الغزو الايطالي لليبيا تحت الاحتلال البريطاني ولذا فان الموقف المصري الحكومي اتخذ شكلا

(١٩) علي ابراهيم عبده : مرجع سابق ، ص ١٢٦ .

١١٦

محايدا من هذا النزاع الدائر حيث عين الانجليز مأمورين اجانب بدلا من المصريين على الحدود الغربية وشددت الرقابة على خفر السواحل لمراقبة حدود مصر الغربية والشرقية ، وبذلت الحكومة المصرية تحت ضغط الدولة المحتلة ـ كل السبل لقطع الاتصال بين مصر وليبيا كما منع اهل برقة من دخول الأراضي المصرية وفرضت على الحدود رقابة صارمة لدرجة ان تعطلت التجارة بين طرابلس ومصر وأرغمت كل قافلة على العودة بما تحمله من متاجر الى ليبيا وكان لهذا اثره في ان قامت ثورة عنيفة على الوزارة المصرية تزعمتها الصحافة الوطنية واتهمتها بالخيانة والفساد(٢٠) .

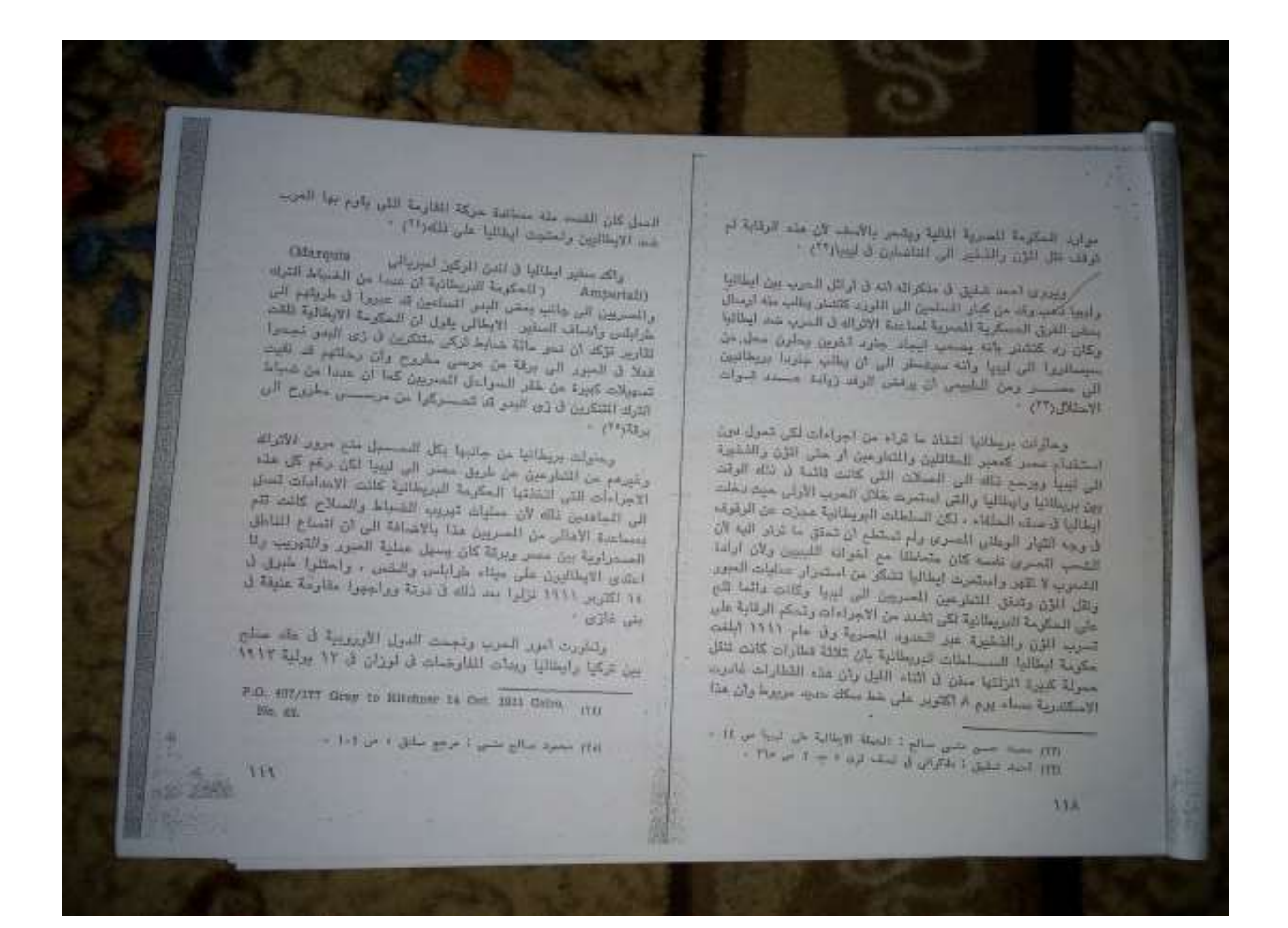
ورفض اللورد كتشنر المعتمد البريطاني في مصر ارسال بعض أورط الجيش المصري لمساعدة الاتراك كما رفض الموافقة على تطوع المصريين من الضباط في الجيش التركي(٢١) .

وكان رد كتشنر أن من سيسافر سيحال الى الاستيداع عند عودته كما تعقدت الامور امام زعماء البدو الذين طلبوا الذهاب الى الحرب واشترط عليهم تطبيق نظام القرعة العسكرية التي يعانون منها ومن الاجراءات التي اتخذها كتشنر انه كلف هنتر باشا (Hunter) ومعه مائة من الرجال بالاقامة عند السلوم كما كلف الكابتن رويال (Royal) ومعه عدد مماثل من الرجال بالتمركز في سيوه ، مع استمرار رجال خفر الحدود بمراقبة الحدود بين المنطقتين كما وزع رجال خفر السواحل في نقاط بين السلوم والاسكندرية هذا الى جانب ثلاث سفن من خفر السواحل لمنع تهريب السلاح ورغم كل هذا فقد اعترف كتشنر بان هذه المهمة صعبة التنفيذ وتمثل عبئا كبيرا على

(٢٠) جمال زكريا قاسم : ليبيا في التاريخ مقال عن موقف مصر من الحرب الايطالية الليبية ١٩١١ ـ ١٩١٤ ، ص ٣٢٧ .

(٢١) محمد فؤاد شكري : مرجع سابق ص ١٤٣ .

١١٧



موارد الحكومة المصرية المالية ويقصر بالأسف لأن هذه الرقابة لم توقف نقل المؤن والذخير الى المناضلين في ليبيا(٢٢) .

ويروي احمد شفيق في مذكراته انه في اوائل الحرب بين ايطاليا وليبيا ذهب وفد من كبار المسلمين الى اللورد كتشنر يطلب منه ارسال بعض الفرق العسكرية المصرية لمساعدة الاتراك في الحرب ضد ايطاليا وكان رد كتشنر بأنه يصعب ايجاد جنود آخرين يحلون محل من سيسافروا الى ليبيا وانه سيضطر الى ان يطلب جنودا بريطانيين الى مصر ومن الطبيعي ان يرفض الوفد زيادة عدد قوات الاحتلال(٢٣) .

وحاولت بريطانيا اتخاذ ما تراه من اجراءات لكي تحول دون استخدام مصر كممر للمقاتلين والمتطوعين أو حتى المؤن والذخيرة الى ليبيا ويرجع ذلك الى الصلات التي كانت قائمة في ذلك الوقت بين بريطانيا وايطاليا والتي استمرت خلال الحرب الأولى حيث دخلت ايطاليا في صف الحلفاء ، لكن السلطات البريطانية عجزت عن الوقوف في وجه التيار الوطني المصري ولم تستطع ان تحقق ما تراه اليه لأن الشعب المصري نفسه كان متحالفا مع اخوانه الليبيين ولأن ارادة الشعوب لا تقهر واستمرت ايطاليا تشكو من استمرار عمليات العبور ونقل المؤن وتدفق المتطوعين المصريين الى ليبيا وكانت دائما تلح على الحكومة البريطانية لكي تشدد من الاجراءات وتحكم الرقابة على تسريب المؤن والذخيرة عبر الحدود المصرية وفي عام ١٩١١ ابلغت حكومة ايطاليا السلطات البريطانية بأن ثلاثة قطارات كانت تنقل حمولة كبيرة انزلتها سفن في اثناء الليل وأن هذه القطارات غادرت الاسكندرية مساء يوم ٨ اكتوبر على خط سكك حديد مريوط وأن هذا

(٢٢) محمد حسن صبحي سالم : الحملة الايطالية على ليبيا ص ١٢ .
(٢٣) احمد شفيق : مذكراتي في نصف قرن ، جـ ٢ ، ص ٢١٥ .

١١٨

الجدل كان القصد منه مساندة حركة المقاومة التي يقوم بها العرب ضد الايطاليين وانتهت ايطاليا على ذلك(٢١) .

واكد سفير ايطاليا في لندن الماركيز امبريالي (Marquis Amperiali) للحكومة البريطانية ان عددا من الضباط الاتراك والمصريين الى جانب بعض البدو السائحين قد عبروا في طريقهم الى طرابلس واضاف السفير الايطالي يقول ان الحكومة الايطالية تلقت تقارير تؤكد ان نحو مائة ضابط تركي متنكرين في زي البدو نجحوا فعلا في العبور الى برقة من مرسى مطروح وأن رحلتهم قد لقيت تسهيلات كبيرة من خفر السواحل المصريين كما ان عددا من ضباط الترك المتنكرين في زي البدو قد تحركوا من مرسى مطروح الى برقة(٢٤) .

وحاولت بريطانيا من جانبها بكل السبل منع مرور الاتراك وغيرهم من المتطوعين عن طريق مصر الى ليبيا لكن رغم كل هذه الاجراءات التي اتخذتها الحكومة البريطانية كانت الامدادات تصل الى المجاهدين ذلك لأن عمليات تهريب الضباط والسلاح كانت تتم بمساعدة الأهالي من المصريين هذا بالاضافة الى ان اتساع المناطق الصحراوية بين مصر وبرقة كان يسهل عملية العبور والتهريب ولما اعتدى الايطاليون على ميناء طرابلس والخمس ، واحتلوا طبرق في ١٤ اكتوبر ١٩١١ نزلوا بعد ذلك في درنة وواجهوا مقاومة عنيفة في بني غازي .

وتطورت امور الحرب وتدخلت الدول الأوروبية في عقد صلح بين تركيا وايطاليا وبدأت المفاوضات في لوزان في ١٢ يولية ١٩١٢

(٢١) F.O. 407/177 Grey to Kitchner 14 Oct. 1911 Cairo. No. 41.
(٢٤) محمود صالح منسي : مرجع سابق ، ص ١٠٤ .

١١٩

ووقعت بالفعل معاهدة الصلح بينهما في أوشي قرب لوزان في ١٧ أكتوبر ١٩١٢ وتعهدت الحكومتان في هذه المعاهدة بايقاف العمليات الحربية وسحب ضباطهما وجنودهما وموظفيهما المدنيين وتبادل الأسرى وتعهدت ايطاليا بمنح العفو التام لأهالي طرابلس وبرقة(٢٦) ..

كما تعهدت ايطاليا أيضا بأن ترسل مبلغا سنويا الى صندوق الدين العثماني يتمشى مع متوسط ما كانت تحصل عليه الدولة العثمانية في خلال السنوات الثلاث السابقة لاعلان الحرب . وهكذا انتهت رسميا مرحلة حالة الحرب بين ايطاليا وتركيا(٢٧) .

وأما موقف الحكومة المصرية التي كانت واقعة تحت ضغط انجلترا في هذه الفترة كان سببا في عقد تركيا لمعاهدة الصلح مع ايطاليا وذلك لأن تركيا أحست بأن الدول الأوروبية لن تقبل خروج ايطاليا من ليبيا على أساس أن ما أخذته الدول الأوروبية من المسلمين لا يمكن أن يعود الى المسلمين . ولضعف الأسطول العثماني وعجزه عن الوقوف أمام الأسطول الايطالي ولأن انجلترا ضيقت الخناق تماما على سفن الأسطول العثماني في قناة السويس ومنعتها من الرسو في أي من الموانى المصرية وقد ترتب على ضغط الدول الأوروبية أن وافقت تركيا على عقد معاهدة الصلح ومما يدعو للانتباه أن الدولة العثمانية لم تطلب من البداية الحرب بينها وبين ايطاليا وبالتالي لم تستطع مصر أن تشارك في الحرب ويبدو أن تركيا فضلت عدم اخطار مصر حتى لا تصطدم مصالحها مع مصالح الانجليز المقيمين في مصر(٢٨) .

وهكذا نجد موقف مصر الحائر بين الوفاء بالتزامات التبعية

---

(٢٦) محمد فؤاد شكري : السنوسية دين ودولة ص ١١٢ .
(٢٧) جلال يحيى : العالم العربي ، ص ٤٢٢ .
(٢٨) محمد حسنين هيكل : مذكراتي في السياسة المصرية ، ص ٤٩ .

للدولة العثمانية وبين مافرضه الاحتلال البريطاني عليها من قيود وهكذا كان وضع مصر صعبا حيث وقفت الحكومة المصرية مكتوفة الأيدي لا تستطيع اعلان الحرب لأن هذا معناه قيام ايطاليا بمهاجمة الموانى المصرية وبالتالي تدخل بريطانيا في الحرب لكي تحمي ممتلكاتها(٢٩) .

وهكذا اقتضى وضع مصر أن تقف على الحياد تحت ضغط سلطات الاحتلال ورغم أن مصر من الناحية القانونية كانت جزءا من الامبراطورية العثمانية الا أنها من الناحية الفعلية جزء من الامبراطورية البريطانية وكان الانجليز يعتبرون مصر كممثلين للمصالح الأوروبية بصفة عامة ومصالح بريطانيا بصفة خاصة(٣٠) .

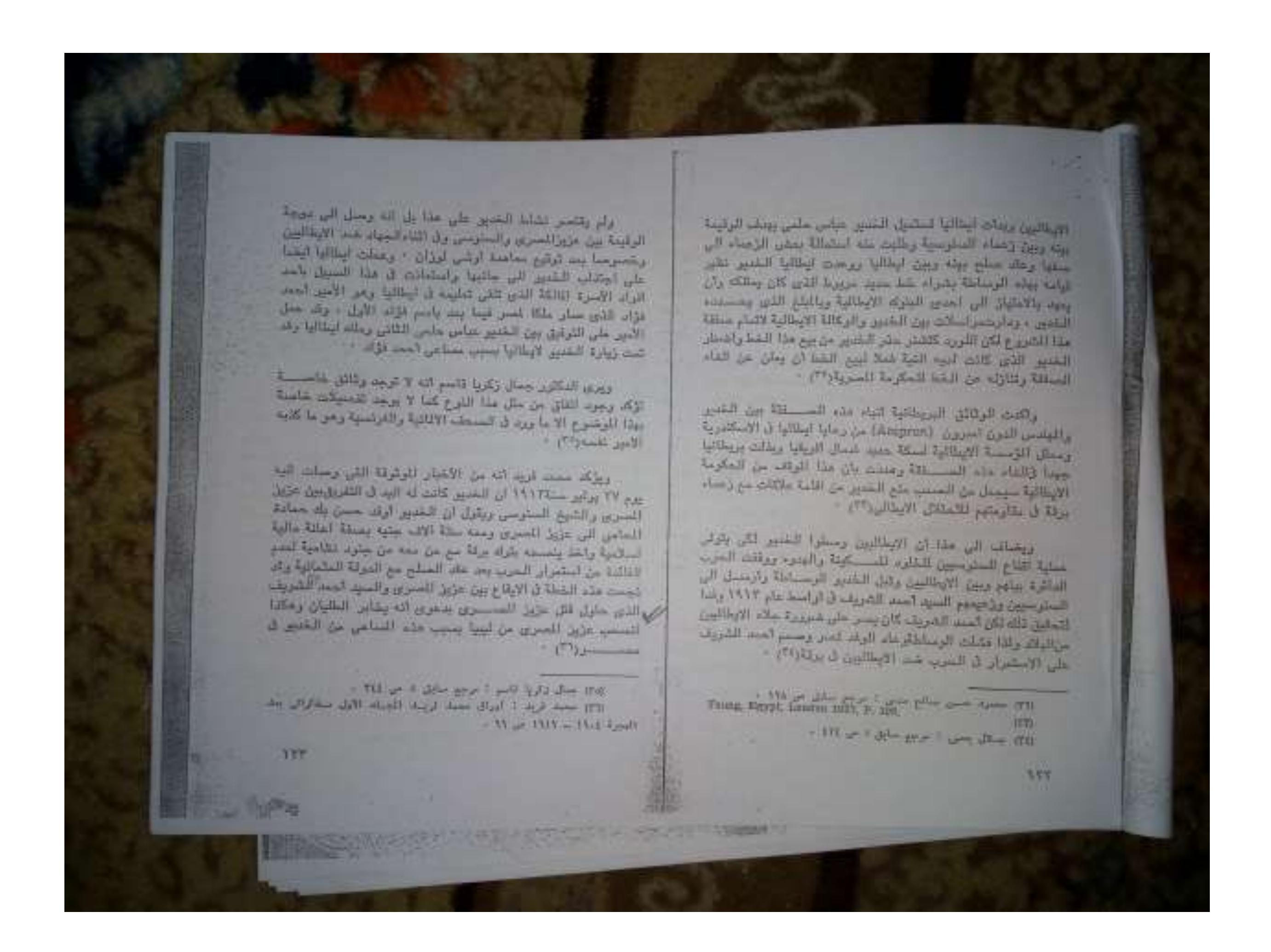
والسؤال الآن : ماذا كان موقف الخديو عباس حلمي الثاني بالذات من هذه الأزمة ؟

لا نستطيع في مثل هذا المقام أن نتجاهل موقف خديو مصر عباس حلمي الثاني ففي بداية الحرب بين الايطاليين والليبيين قام الخديو بتمويل ارسال الاعانات والبعثات الى الثوار في طرابلس وكان هدفه معارضة سلطات الاحتلال في مصر لكن بعد أن تغير الموقف لصالح الايطاليين تغير موقف الخديو تبعا لذلك . فعمل على وقف المساعدات ومنعت بعثات الهلال الأحمر العائدة من الحدود بالجرحى الى مصر(٣١) .

وبعد توقيع معاهدة أوشي لوزان انشقت الحركة الوطنية ضد الايطاليين وقام السيد احمد الشريف بتولي الأمور القيادية ضد

---

(٢٩) أحمد شفيق : مذكراتي في نصف قرن جـ ٣ ص ٢٦٧ .
(٣٠) Young Egypt, London 1927, P. 198.
(٣١) أحمد شفيق : مرجع سابق جـ ٣ ص ٢٦٧ .



الايطاليين بزيادة ايطاليا لتستميل الخديو عباس حلمي بوقف الوقيعة بينه وبين زعماء السنوسية وطلبت منه استمالة بعض الزعماء الى صفها وعقد صلح بينه وبين ايطاليا ووعدت ايطاليا الخديو نظير قيامه بهذه الوساطة بشراء خط حديد مريوط الذي كان يملكه وأن يعود بالامتياز الى احدى البنوك الايطالية وبالمبلغ الذي يحدده الخديو ، ودارت مراسلات بين الخديو والوكالة الايطالية لاتمام صفقة هذا المشروع لكن اللورد كتشنر حذر الخديو من بيع هذا الخط واضطر الخديو الذي كانت لديه النية فعلا لبيع الخط أن يعلن عن الغاء الصفقة وتنازله عن الخط للحكومة المصرية(٣٢) .

وكشفت الوثائق البريطانية انباء هذه الصفقة بين الخديو والمهندس اللون امبرون (Ampron) من رعايا ايطاليا في الاسكندرية وممثل المؤسسة الايطالية لسكة حديد شمال افريقيا وبذلت بريطانيا جهدا في الغاء هذه الصفقة وهددت بأن هذا الموقف من الحكومة الايطالية سيجعل من الصعب منع الخديو من اقامة علاقات مع زعماء برقة في مقاومتهم للاحتلال الايطالي(٣٣) .

ويضاف الى هذا أن الايطاليين وسطوا الخديو لكي يتولى عملية اقناع السنوسيين للخلود للسكينة والهدوء ووقف الحرب الدائرة بينهم وبين الايطاليين وقبل الخديو الوساطة وارسل الى السنوسيين وزعيمهم السيد أحمد الشريف في ارامسط عام ١٩١٣ وفدا لتحقيق ذلك لكن أحمد الشريف كان يصر على ضرورة جلاء الايطاليين من البلاد ولذا فشلت الوساطة وعاد الوفد لمصر وصمم أحمد الشريف على الاستمرار في الحرب ضد الايطاليين في برقة(٣٤) .

(٣٢) محمود حسن صالح منسي : مرجع سابق ص ١٩٨ .
(٣٣) Young, Egypt, London 1927, P. 200.
(٣٤) جلال يحيى : مرجع سابق ، ص ٤٢٢ .

١٢٢

ولم يقتصر نشاط الخديو على هذا بل انه وصل الى محاولة الوقيعة بين عزيز المصري والسنوسي وفي اثناء الجهاد ضد الايطاليين وخصوصا بعد توقيع معاهدة اوشي لوزان ، وعملت ايطاليا ايضا على اجتذاب الخديو الى جانبها واستخدمت في هذا السبيل بأحد افراد الأسرة المالكة الذي تلقى تعليمه في ايطاليا وهو الأمير أحمد فؤاد الذي صار ملكا لمصر فيما بعد باسم فؤاد الأول ، وقد عمل الأمير على التوفيق بين الخديو عباس حلمي الثاني وملك ايطاليا وقد تمت زيارة الخديو لايطاليا بسبب مساعي أحمد فؤاد .

ويرى الدكتور جمال زكريا قاسم انه لا توجد وثائق خاصة تؤكد وجود اتفاق من مثل هذا النوع كما لا يوجد تفصيلات خاصة بهذا الموضوع الا ما ورد في الصحف الالمانية والفرنسية وهو ما كتبه الأمير نفسه(٣٥) .

ويؤكد محمد فريد انه من الأخبار الموثوقة التي وصلت اليه يوم ٢٧ يناير سنة ١٩١٣ أن الخديو كانت له اليد في التفريق بين عزيز المصري والشيخ السنوسي ويقول ان الخديو أوفد حسن بك حمادة المحامي الى عزيز المصري ومعه ستة آلاف جنيه بصفة اعانة مالية سلطانية وأخذ يلمسه بتركه برقة مع من معه من جنود نظامية لعدم الفائدة من استمرار الحرب بعد عقد الصلح مع الدولة العثمانية وقد نجحت هذه الخطة في الايقاع بين عزيز المصري والسيد أحمد الشريف الذي حاول قتل عزيز المصري بدعوى انه يخابر الطليان وهكذا انسحب عزيز المصري من ليبيا بسبب هذه المساعي من الخديو في مصر(٣٦) .

(٣٥) جمال زكريا قاسم : مرجع سابق ، ص ٣٤٤ .
(٣٦) محمد فريد : أوراق محمد فريد ، المجلد الأول مذكراتي بعد الهجرة ١٩٠٤ ـ ١٩١٢ ص ٩٦ .

١٢٣



ويقول محمد فريد ان الشيخ السنوسي قال لعزيز المصري من الأحسن أن ينسحب هو وجنوده فانسحب وهاجمه العرب في الطريق وقتلوا من رجاله ضباطا والرجعين عسكريا وبذلك خلا جبال السنوسي من الضباط وسهل على الطليان فتح بلاده وهذا من عمل وخيانة عباس الثاني خديو مصر(٣٧) .

٩- موقف الشعبي والوطني من الحرب الايطالية الليبية :

بعد اعلان ايطاليا الحرب على ليبيا تشكلت في مصر اللجان لجمع التبرعات وألف الشيخ على يوسف جمعية الهلال الأحمر وقررت انشاء عدة مستشفيات ميدانية وغادرت البعثة الأولى في السابع من نوفمبر ١٩١١ لكن ايطاليا عارضـــت وصول بعثة الهلال الأحمر المصرية وارسل الشيخ على يوسف رئيس تحرير جريدة المؤيد رسالة الى صحيفة المورنج بوست (Morning Post) البريطانية ارضح فيها ان الايطاليين رفضوا التصـــريح لبعثة الهلال الأحمر المتجهة الى طرابلس بحرا بالنزول الى البر مع ان هذا عمل انساني محض(٣٨) .

وكان رد كتشنر ان هذا الاجراء من جانب ايطاليا سوف يزيد من حدة العداء الذي يشعر به المصريون نحوها(٣٩) .

ومنت ايطاليا رفضها لبعثة الهلال الأحمر المصرية على اساس ان افراد البعثة هم ضباط مصريون متنكرون واستمر كتشنر على

(٣٧) نفس المصدر السابق ص ١٠٠ .
(٣٨) F.O. 407/177 Gray to Kitchner 14 Nov. 1911, Cable No. 58. Cairo.
(٣٩) F.O. 407/178, Kitchner to Gray 8 Dec. 1911.

١٢٤

الاتصال بحكومته لكي تقوم بالاتصالات مع الحكومة الايطالية من اجل السماح لبعثة الهلال الأحمر وافاد كتشنر انه يمكن التأكد من رجال البعثة بعد التحريات الدقيق من جانب ضباط بريطانيين وابلغ سفير بريطانيا في روما وزير الخارجية الايطالية بكل هذه الاحتياطات التي سوف تتخذها السلطات البريطانية في مصر للتأكد من شخصية افراد البعثة المصرية وامتعتهم ، ولكن كان رد ايطاليا انها لا تستطيع ان تثق بأن اهداف هذه البعثة انسانية بحتة(٤٠) .

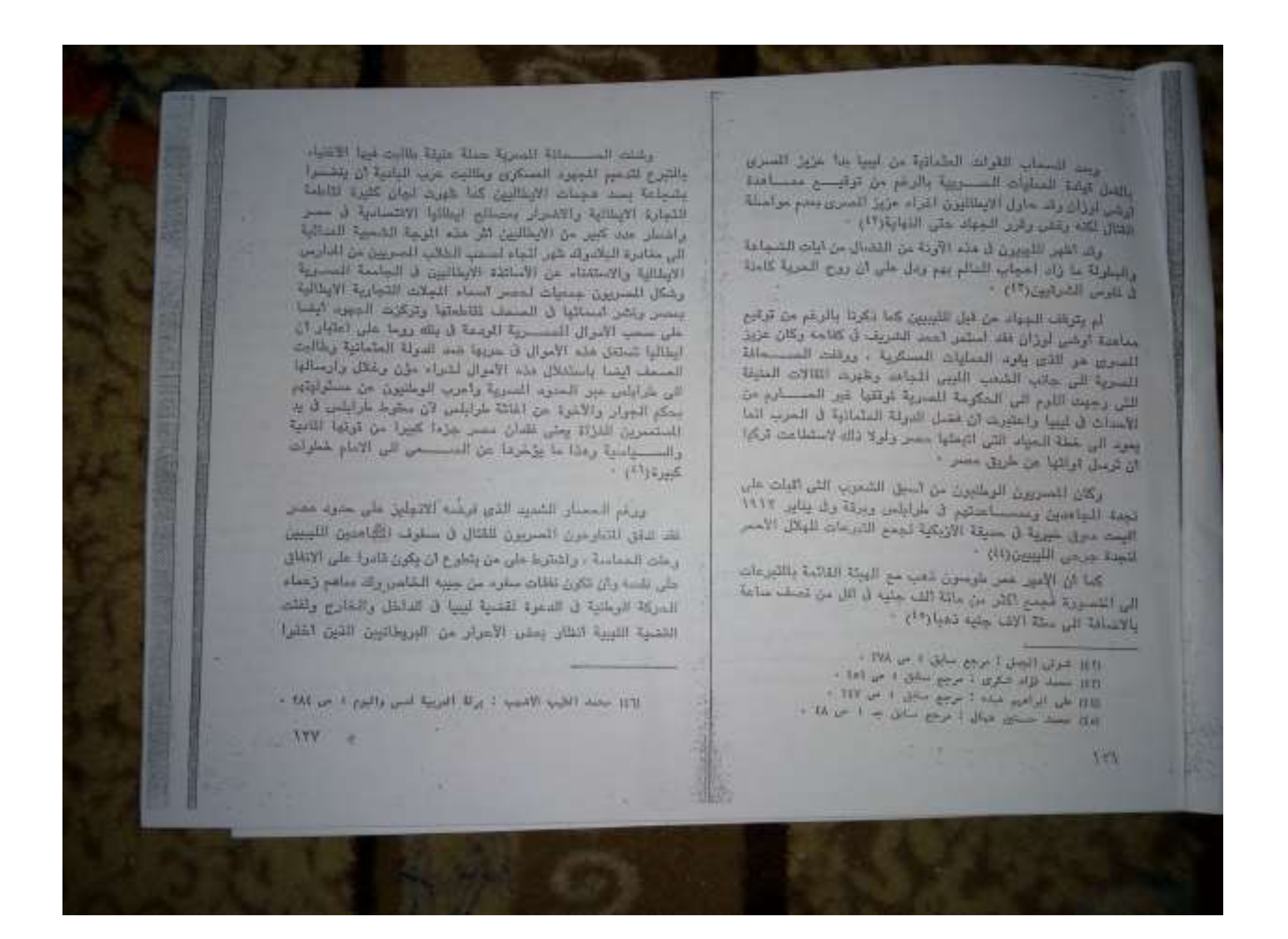
ولما قامت الحرب بين ايطاليا وليبيا أعد السيد احمد الشريف منشورا طالب فيه المناضلين على المضي في الجهاد ، ونجح العرب بالفعل في معركة وقعت في يوم ٣١ ديسمبر ١٩١١ في قتل ما يزيد عن الف من الايطاليين .

وعندما قامت الدولة العثمانية بدعاية واسعة النطاق ضـــد ايطاليا في العالم العربي وذلك قبل توقيعها معاهدة الصلح مع ايطاليا تآلفت الجمعيات المختلفة في الأقطار الاسلامية وكانت مصر من أسبق الدول التي ساهمت في هذا المجال حيث تأسست اللجنة العليا برئاسة الأمير عمر طوسون لذلك الغرض ولم يقتصر الأمر عند حد جمع التبرعات وارسال البعوث الطبية لمساعدة المناضلين في ليبيا لكن تطوع عدد من المصريين لحمل السلاح الى جانب اخوانهم الليبيين(٤١) .

ويهمنا في هذا المقام ألا نتعرض في تفاصـــيل المعارك أو دور السنوسية في تحمل عبء الكفاح الوطني ضـــد الايطاليين ولكن سيكون التركيز حول موقف مصر الشعبي من هذه الحرب الدائرة بين الايطاليين والسنوسيين .

(٤٠) محمود حسن صالح منسي : مرجع سابق ، ص ١٠٠ .
(٤١) جمال زكريا قاسم : مرجع سابق ص ٢٢٧ .

١٢٥



وبعد انسحاب القوات العثمانية من ليبيا بدأ عزيز المصري بالفعل قيادة العمليات العسكرية بالرغم من توقيع معاهدة اوشي لوزان وقد حاول الايطاليون اغراء عزيز المصري بعدم مواصلة القتال لكنه رفض وقرر الجهاد حتى النهاية(٤٢) .

وقد اظهر الليبيون في هذه الآونة من القتال من ايات الشجاعة والبطولة ما زاد اعجاب العالم بهم ودل على ان روح الحرية كامنة في نفوس الشرقيين(٤٣) .

لم يتوقف الجهاد من قبل الليبيين كما ذكرنا بالرغم من توقيع معاهدة اوشي لوزان فقد استمر احمد الشريف في كفاحه وكان عزيز المصري هو الذي يقود العمليات العسكرية ، ووقفت الصحافة المصرية الى جانب الشعب الليبي المجاهد وظهرت المقالات العنيفة التي وجهت اللوم الى الحكومة المصرية لموقفها غير الحازم من الاحداث في ليبيا واعتبرت ان فشل الدولة العثمانية في الحرب انما يعود الى خطة الحياد التي اتبعتها مصر ولولا ذلك لاستطاعت تركيا ان ترسل قواتها عن طريق مصر .

وكان المصريون الوطنيون من اسبق الشعوب التي اقبلت على نجدة المجاهدين ومساعدتهم في طرابلس وبرقة وفي يناير ١٩١٢ اقيمت سوق خيرية في حديقة الازبكية لجمع التبرعات للهلال الاحمر لنجدة جرحى الليبيين(٤٤) .

كما ان الامير عمر طوسون ذهب مع الهيئة القائمة بالتبرعات الى المنصورة فجمع اكثر من مائة الف جنيه في اقل من نصف ساعة بالاضافة الى ستة الاف جنيه ذهبا(٤٥) .

(٤٢) شوقي الجمل : مرجع سابق ، ص ٢٧٨ .
(٤٣) محمد فؤاد شكري : مرجع سابق ، ص ١٥١ .
(٤٤) علي ابراهيم عبده : مرجع سابق ، ص ١٦٧ .
(٤٥) محمد حسنين هيكل : مرجع سابق جـ ١ ص ٢٨ .

١٢٦

وشنت الصحافة المصرية حملة عنيفة طالبت فيها الاغنياء بالتبرع لتدعيم المجهود العسكري وطالبت عرب البادية ان ينفروا بشجاعة بصد هجمات الايطاليين كما ظهرت لجان كثيرة لمقاطعة التجارة الايطالية والاضرار بمصالح ايطاليا الاقتصادية في مصر واضطر عدد كبير من الايطاليين اثر هذه الموجة الشعبية العدائية الى مغادرة البلاد وظهر اتجاه لسحب الطلاب المصريين من المدارس الايطالية والاستغناء عن الاساتذة الايطاليين في الجامعة المصرية وشكل المصريون جمعيات لحصر اسماء المحلات التجارية الايطالية بمصر ونشر اسمائها في الصحف لمقاطعتها وتركزت الجهود ايضا على سحب الاموال المصرية المودعة في بنك روما على اعتبار ان ايطاليا تستغل هذه الاموال في حربها ضد الدولة العثمانية وطالبت الصحف ايضا باستغلال هذه الاموال لشراء مؤن وغلال وارسالها الى طرابلس عبر الحدود المصرية واعرب الوطنيون عن مسئوليتهم بحكم الجوار والاخوة عن اغاثة طرابلس لان سقوط طرابلس في يد المستعمرين الغزاة يعني فقدان مصر جزءا كبيرا من قوتها المادية والسياسية وهذا ما يؤخرها عن السعي الى الامام خطوات كبيرة(٤٦) .

وبرغم الحصار الشديد الذي فرضه الانجليز على حدود مصر فقد تدفق المتطوعون المصريون للقتال في صفوف المجاهدين الليبيين وعمت الحماسة ، واشترط على من يتطوع ان يكون قادرا على الانفاق على نفسه وان تكون نفقات سفره من جيبه الخاص وقد ساهم زعماء الحركة الوطنية في الدعوة لقضية ليبيا في الداخل والخارج واعتنق القضية الليبية انظار بعض الاحرار من البريطانيين الذين اعتبروا

(٤٦) محمد الطيب الاشهب : برقة العربية امس واليوم ، ص ٢٨٤ .

١٢٧

يتعاطفون مع العرب والمسلمين بل واسسوا جمعية الهلال الأحمر الليبية على نمط جمعية الهلال الأحمر المصرية(٤٧) .

واتخذت الاحزاب المصرية موقفا مؤيدا للدولة العثمانية ووجد الحزب الوطنى بزعامة محمد فريد فى اشتراك مصر فى هذه الحرب وسيلة لمصر لكى تتخلص من الاحتلال البريطانى وكان المصريون يجدون فى ضياع طرابلس ضياعا لآمالهم فى المستقبل ، وأن الدفاع عن طرابلس واجب دفاعى عن مصر واكد عدد كبير من المصريين أن نيل مصر لاستقلالها يتوقف على قدرة الدولة العثمانية فى الدفاع عن مصر وأن سيطرة الايطاليين على طرابلس تفتح باب المساءلة فى ظروف هى ما تكون على مصر ومستقبلها وعلى هذا فان تطوع الأمة المصرية فى هذه الحرب فانها تتطوع دفاعا عن حياتها ومستقبلها واستقلالها .

وانساق حزب الامة فى نفس تيار المساعدة للدولة العثمانية رغم اتخاذ احمد لطفى السيد رئيس تحرير الجريدة المعبرة عن لســـان الحزب موقفا مضادا حيث رأى أن مساعدة المصريين للدولة العثمانية غير مجدى وطالب بالحياد المطلق فى هذه الحرب، لأن أى حركة من حركات مساندة الدولة العثمانية سيزيد من موقف مصر ارتباكا(٤٨) .

ولم يستطع لطفى السيد أن يثنى زملاءه عن الحرب التى انساق اليها الرأى العام ولما لم يجد لطفى السيد مناصرة من الحزب اضطر الى الانسحاب(٤٩) .

(٤٧) Pritchard, Evans : Op. Cit. P. 113.

(٤٨) انظر مقالات احمد لطفى السيد فى الجريدة « سياسة التاليع لا سياسة المواقف » عدد ١٤٠٠ فى ٢٧ اكتوبر ١٩١١ .

(٤٩) محمد حسين هيكل : مرجع سابق جـ ١ ص ٧١ .

وهكذا كان موقف الأحزاب المصرية مخالفا لوجهة نظر الحكومة المصرية التى تمسكت بمبدأ الحياد التام من ناحية الواقع والقانون وصممت على حراسة النقط الواقعة على الحدود بين مصر وطرابلس وقد وقفت وزارة الداخلية موقفا حازما وصادرت الكثير من المنشورات للحزب الوطنى واخذت فى تضييق الخناق على قادته وطلب اسماعيل صدقى سكرتير مجلس الوزراء من رئيس تحرير جريدة اللواء الكف عن نشر اية مقالات فى جريدته عن موقف المصريين من تركيا وكان هذا الموقف الحيادى لمصر بسبب توجيهات الساسة البريطانيين .

لكن فشلت كل هذه الجهود فى منع المصريين من امداد المحاربين ببعض ما يلزمهم حيث نجد أن بعض الضباط المصريين فى السلوم قد اخذوا على عاتقهم عملية توصيل المؤن والذخائر وقطع الدقعية الى المجاهدين فى برقة(٥٠) .

ثالثا : مصر والحركة السنوسية اثناء الحرب العالمية الأولى :

وقف الانجليز على الحياد اثناء الحرب الليبية الايطالية وتركوا العرب يبيعون الأسلاب التى غنموها من الايطاليين فى ميناء السلوم لكن حرص الانجليز فى نفس الوقت على أن تظل العلاقات بينهم وبين السيد أحمد الشريف طيبة كما حرص السيد احمد الشريف على استبقاء علاقات المودة بينه وبينهم ، وكان السير جون ماكسويل (John Maxwell) القائد العام للجيوش البريطانية فى مصر يراسل السيد احمد الشريف ويقدم اليه الهدايا ويتزلف اليه بكل الوسائل اتقاء غارة من جهة السنوسية على مصر ، وكان رجال الحامية المصرية وعددهم حوالى خمسين جنديا يقيمون فى القرى ،

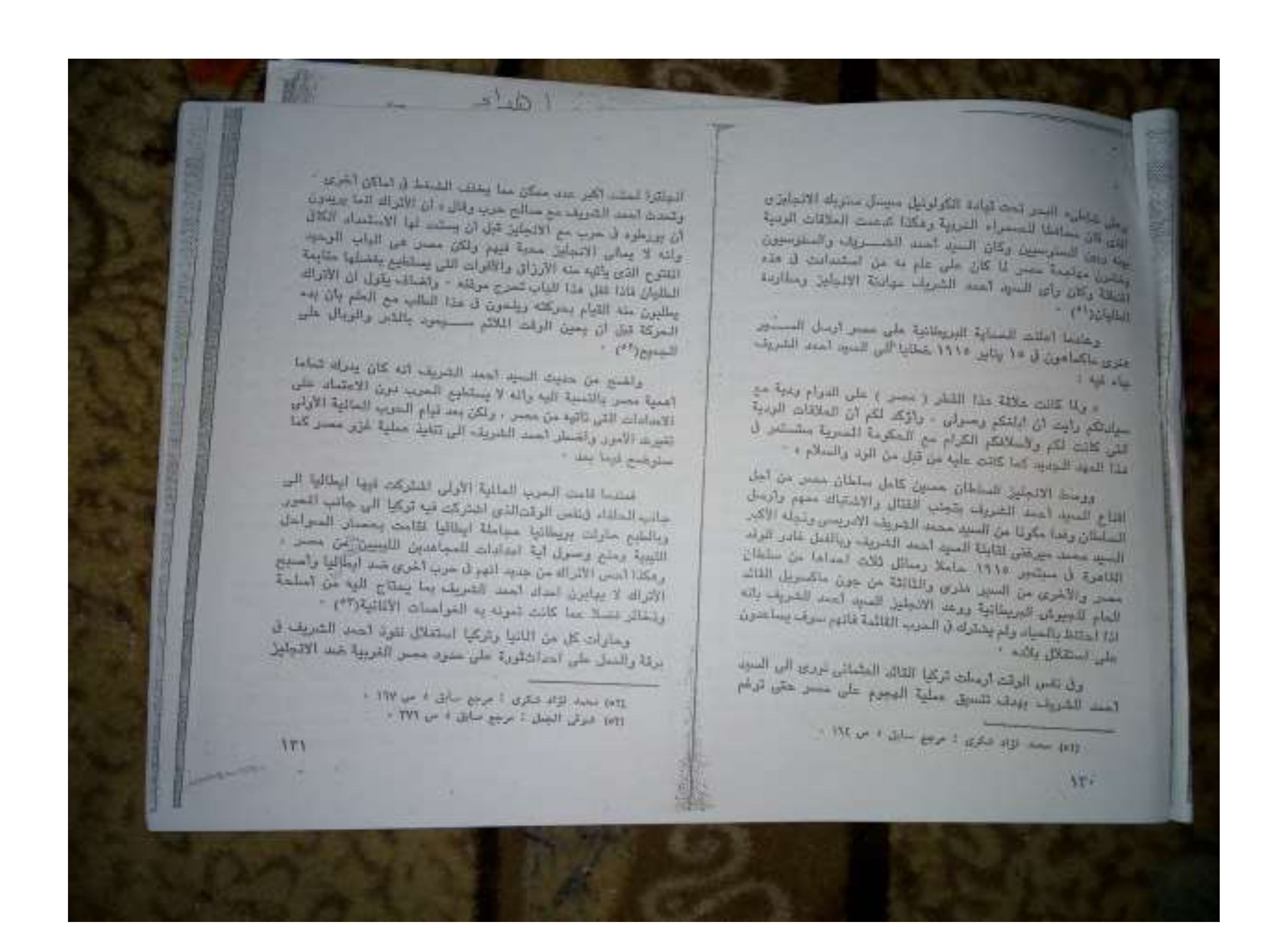
(٥٠) جلال يحيى : العالم العربى الحديث ، الجزء الأول الدقى ١٩٧٤ ص ٤١٥ .



ثالثا : مصر والحركة السنوسية اثناء الحرب العالمية الأولى :

١٢٩

١٢٨



وعلى شواطىء البحر تحت قيادة الكولونيل سيسل سنوبك الانجليزي الذي كان مصاحبا للصحراء الغربية وهكذا تحسنت العلاقات الودية بينه وبين السنوسيين وكان السيد أحمد الشريف والسنوسيون يتحاشون مهاجمة مصر لما كان على علم به من استعدادات في هذه المنطقة وكان رأى السيد أحمد الشريف مهادنة الانجليز ومطاردة الطليان(٤١) .

وعندما اعلنت الحماية البريطانية على مصر ارسل السير هنري ماكماهون في ١٥ يناير ١٩١٥ خطابا الى السيد احمد الشريف جاء فيه :

« ولما كانت علاقة هذا القطر (مصر) على الدوام ودية مع سيادتكم رأيت أن ابلغكم وصولي . وأؤكد لكم أن العلاقات الودية التي كانت لكم ولأسلافكم الكرام مع الحكومة المصرية ستستمر في هذا العهد الجديد كما كانت عليه من قبل من الود والسلام » .

ووسط الانجليز السلطان حسين كامل سلطان مصر من أجل اقناع السيد أحمد الشريف بتجنب القتال والاشتباك معهم وارسل السلطان وفدا مكونا من السيد محمد الشريف الادريسي ونجله الأكبر السيد محمد مرغني لمقابلة السيد أحمد الشريف وبالفعل غادر الوفد القاهرة في سبتمبر ١٩١٥ حاملا رسائل ثلاث احداها من سلطان مصر والأخرى من السير مكري والثالثة من جون ماكسويل القائد العام للجيوش البريطانية ووعد الانجليز السيد أحمد الشريف بأنه اذا احتفظ بالحياد ولم يشترك في الحرب القائمة فانهم سوف يساعدون على استقلال بلاده .

وفي نفس الوقت ارسلت تركيا القائد العثماني نوري الى السيد أحمد الشريف بهدف تنسيق عملية الهجوم على مصر حتى ترغم

(٤١) محمد فؤاد شكري : مرجع سابق ، ص ١٦٤ .

١٣٠

انجلترا لحشد أكبر عدد ممكن مما يخفف الضغط في اماكن أخرى . وتحدث أحمد الشريف مع صالح حرب وقال « ان الاتراك انما يريدون أن يورطوه في حرب مع الانجليز قبل أن يستعد لها الاستعداد الكافي وانه لا يمالئ الانجليز محبة فيهم ولكن مصر هي الباب الوحيد المفتوح الذي يأتيه منه الأرزاق والأقوات التي يستطيع بفضلها متابعة الطليان فاذا قفل هذا الباب تحرج موقفه . واضاف يقول ان الاتراك يطلبون منه القيام بحركته ويلحون في هذا الطلب مع العلم بأن بدء الحركة قبل أن يحين الوقت الملائم سيعود بالكسر والوبال على الجميع(٤٢) .

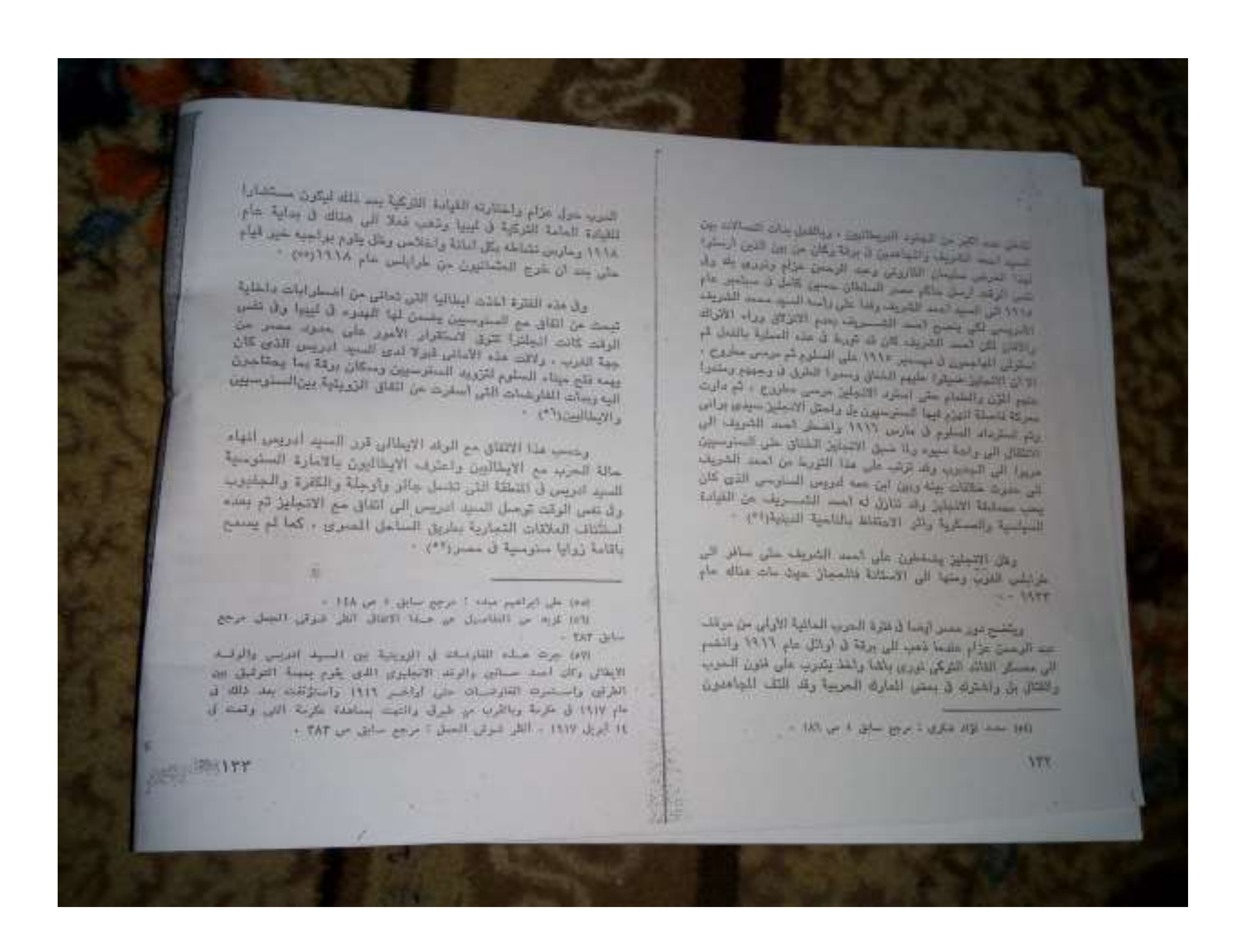
واتضح من حديث السيد أحمد الشريف انه كان يدرك تماما أهمية مصر بالنسبة اليه وانه لا يستطيع الحرب دون الاعتماد على الامدادات التي تأتيه من مصر ، ولكن بعد قيام الحرب العالمية الأولى تعقدت الأمور واضطر أحمد الشريف الى تنفيذ عملية غزو مصر كما سنوضح فيما بعد .

فعندما قامت الحرب العالمية الأولى اشتركت فيها ايطاليا الى جانب الحلفاء في نفس الوقت الذي اشتركت فيه تركيا الى جانب المحور وبالطبع حاولت بريطانيا مجاملة ايطاليا فقامت بحصار السواحل الليبية ومنع وصول أية امدادات للمجاهدين الليبيين من مصر . وهكذا احس الاتراك من جديد انهم في حرب أخرى ضد ايطاليا واصبح الاتراك لا يبالون امداد أحمد الشريف بما يحتاج اليه من أسلحة وذخائر فضلا عما كانت تمونه به الغواصات الألمانية(٤٣) .

وحاولت كل من المانيا وتركيا استغلال نفوذ أحمد الشريف في برقة والعمل على احداث ثورة على حدود مصر الغربية ضد الانجليز

(٤٢) محمد فؤاد شكري : مرجع سابق ، ص ١٦٧ .
(٤٣) عرفي الجمل : مرجع سابق ، ص ٣٧٦ .

١٣١



تلقى عبد الكثير من الهنود البريطانيين ، وبالفعل بدأت اتصالات بين السيد احمد الشريف والمجاهدين في برقة وكان من بين الذين أرسلتهم تركيا الى ليبيا العربي سليمان الباروني وعبد الرحمن عزام ونوري بك وفي نفس الوقت أرسل حاكم مصر السلطان حسين كامل في سبتمبر عام ١٩١٥ الى السيد احمد الشريف وفدا على رأسه السيد محمد الشريف الادريسي لكي ينصح احمد الشريف بعدم الانزلاق وراء الاتراك والالمان لكن احمد الشريف كان قد تورط في هذه العملية بالفعل ثم استولى المجاهدون في ديسمبر ١٩١٥ على السلوم ثم مرسى مطروح ، الا ان الانجليز ضيقوا عليهم الخناق وسدوا الطرق في وجههم ومنعوا عنهم المؤن والطعام حتى استرد الانجليز مرسى مطروح ، ثم دارت معركة فاصلة انهزم فيها السنوسيون بل واحتل الانجليز سيدي براني رغم استرداد السلوم في مارس ١٩١٦ واضطر احمد الشريف الى الانتقال الى واحة سيوه ولما ضيق الانجليز الخناق على السنوسيين مرة الى الجغبوب وقد ترتب على هذا التورط من احمد الشريف الى حدوث خلافات بينه وبين ابن عمه ادريس السنوسي الذي كان يحب مصادقة الانجليز وقد تنازل له احمد الشريف عن القيادة السياسية والعسكرية وآثر الاحتفاظ بالناحية الدينية(٥١) .

وظل الانجليز يضغطون على احمد الشريف حتى سافر الى طرابلس الغرب ومنها الى الاستانة فالحجاز حيث مات هناك عام ١٩٣٣ .

ويتضح دور مصر أيضا في فترة الحرب العالمية الاولى من موقف عبد الرحمن عزام عندما ذهب الى برقة في اوائل عام ١٩١٦ وانضم الى معسكر القائد التركي نوري باشا واخذ يتدرب على فنون الحرب والقتال بل واشترك في بعض المعارك الحربية وقد التف المجاهدون

(٥١) محمد فؤاد شكري : مرجع سابق ، ص ١٨٦ .

١٣٢

العرب حول عزام واختارته القيادة التركية بعد ذلك ليكون مستشارا للقيادة العامة التركية في ليبيا وذهب فعلا الى هناك في بداية عام ١٩١٨ ومارس نشاطه بكل امانة واخلاص وظل يقوم بواجبه خير قيام حتى بعد ان خرج العثمانيون من طرابلس عام ١٩١٨(٥٥) .

وفي هذه الفترة اخذت ايطاليا التي تعاني من اضطرابات داخلية تبحث عن اتفاق مع السنوسيين يضمن لها الهدوء في ليبيا وفي نفس الوقت كانت انجلترا تتوق لاستقرار الأمور على حدود مصر من جهة الغرب ، ولاقت هذه الاماني قبولا لدى السيد ادريس الذي كان يهمه فتح ميناء السلوم لتزويد السنوسيين وسكان برقة بما يحتاجون اليه وبدأت المفاوضات التي اسفرت عن اتفاق الزويتينة بين السنوسيين والايطاليين(٥٦) .

وحسب هذا الاتفاق مع الوفد الايطالي قرر السيد ادريس انهاء حالة الحرب مع الايطاليين واعترف الايطاليون بالامارة السنوسية للسيد ادريس في المنطقة التي تشمل جالو وأوجلة والكفرة والجغبوب وفي نفس الوقت توصل السيد ادريس الى اتفاق مع الانجليز تم بعده استئناف العلاقات التجارية بطريق الساحل المصري ، كما لم يسمح باقامة زوايا سنوسية في مصر(٥٧) .

(٥٥) علي ابراهيم عبده : مرجع سابق ، ص ١٤٨ .

(٥٦) لمزيد من التفاصيل عن هذا الاتفاق انظر شوقي الجمل مرجع سابق ٣٨٢ .

(٥٧) جرت هذه المفاوضات في الزويتينة بين السيد ادريس والوفد الايطالي وكان احمد حساني والوفد الانجليزي الذي يقوم بمهمة التوفيق بين الطرفين واستمرت المفاوضات حتى اواخر ١٩١٦ واستؤنفت بعد ذلك في عام ١٩١٧ في عكرمة بالقرب من طبرق وانتهت بمعاهدة عكرمة التي وقعت في ١٤ ابريل ١٩١٧ . انظر شوقي الجمل : مرجع سابق ص ٣٨٣ .

١٣٣



ثانيا : موقف مصر من الحركة السنوسية في الفترة بين الحربين :

١٣٤

١٣٥



لاستقباله ونزل الأمير بالقاهرة وكان مجيء السيد ادريس الى القاهرة بداية مرحلة جديدة للكفاح المرير في برقة ذلك أنه رغم مرضه فانه اتخذ من الاجراءات ما يكفل استئناف جهاد العرب ضد حكومة الطليان(٦٠) . وفتحت مصر أبوابها للقادة الوطنيين من ليبيا فلجأ اليها السنوسيون بينما ضيق عليهم الايطاليون الخناق وصارت مصر مقرا للمقاومة الوطنية الليبية حيث عقدوا مجالسهم الوطنية وأقاموا معسكرات التدريب(٦١) .

وقبل أن يسافر السيد ادريس الى القاهرة كان قد نظم المقاومة ضد الاحتلال الايطالي فتولى قيادة الجيوش الوطنية السيد عمر المختار وكان هذا اختيارا موفقا لما كان يتحلى به عمر المختار من صدق العزيمة وقوة الشكيمة وكبر التضحية وعلو الثقافة ورباطة الجأش والايمان بالله والاخلاص للوطن(٦٢) .

بدأ عمر المختار يوسع عمليات المقاومة حتى شملت منطقة الجبل الأخضر كله خلال أعوام ١٩٢٣ ، ١٩٢٤ ، ١٩٢٥ ووجد المختار بعد فترة أن من واجبه الاتصال بالأمير السيد ادريس لكي يطلعه على كل ما يقع من أحداث لكي يتلقى من مشورته التعليمات اللازمة وبعد الجهاد ضد العدو وقرر المختار الذهاب الى القاهرة ونجح في اجتياز الحدود والتقى بالسيد ادريس في مصر الجديدة ولقي كل تقدير وتكريم من الشعب المصري كما لقي الحفاوة من صديقه القديم عبد الرحمن عزام(٦٣) .

(٦٠) Khadduri, Majid : Modern Libya P. 33.

(٦١) عرفي الجمل : دور مصر في الرابطة في العصر الحديث ص ١٢٢ .

(٦٢) زيادة : مرجع سابق ص ١٠٢ والمزيد عن حياة عمر المختار انظر محمد فؤاد شكري : مرجع سابق ، ص ٢٢٦ — ٢٢٨ .

(٦٣) صلاح العقاد : مرجع سابق ص ، ٢٢ .

١٣٦

وظل عمر المختار يشرف على كل كبيرة وصغيرة من أمور القتال وكان يداوم الاتصال بالسيد محمد ادريس في مصر(٦٤) .

وكان الأمير السيد محمد ادريس من جانبه يشرف بنفسه على أمر تأمين الذخائر والسلاح والمؤن وبقدر ما تسمح به الأحوال والظروف وظل السيد عمر المختار روح الجهاد الملهم لهذا الكفاح على ما قال عنه جرازياني خصمنا الذي لا يلين ، القائد الامين والخادم الأمين للسيد ادريس والذي كان قلب الثورة البرقاوية النابض وروحها(٦٥) .

وحاولت ايطاليا الاستيلاء على المركز السنوسي الكبير الذي يمد المجاهدين بالذخيرة والمؤن وهي واحة الجغبوب وكانت بريطانيا تسعى جاهدة لأن تقدم ايطاليا كافة المغريات لكي تنضم الى صفوف الحلفاء ومن هذه الاغراءات مشروع الاتفاق البريطاني الايطالي (ملنر شالويا) الذي كان قد عقد عام ١٩٢١ وتعهدت فيه بريطانيا بمساعدة ايطاليا في الحصول على واحة الجغبوب لاتخاذها قاعدة لصد اغارات السنوسيين لكن هذا المشروع لم ينفذ لأن بريطانيا لم يكن لها الحق في التصرف في أراضي مصر(٦٦) .

لكن ادركت ايطاليا بعد انتهاء الحرب ضرورة الاستيلاء على واحة الجغبوب نظرا لأهميتها الاقتصادية العظيمة لأنها تمثل مركزا وسطا بين برقة ومصر ثم بين السودان والصحراء الكبرى وهي من الناحية الاستراتيجية مدخل من مداخل برقة ويستطيع السنوسيون منها أن يشرفوا على أعمال الجهاد ولكل هذه الأسباب قرر الايطاليون الاستيلاء عليها(٦٧) .

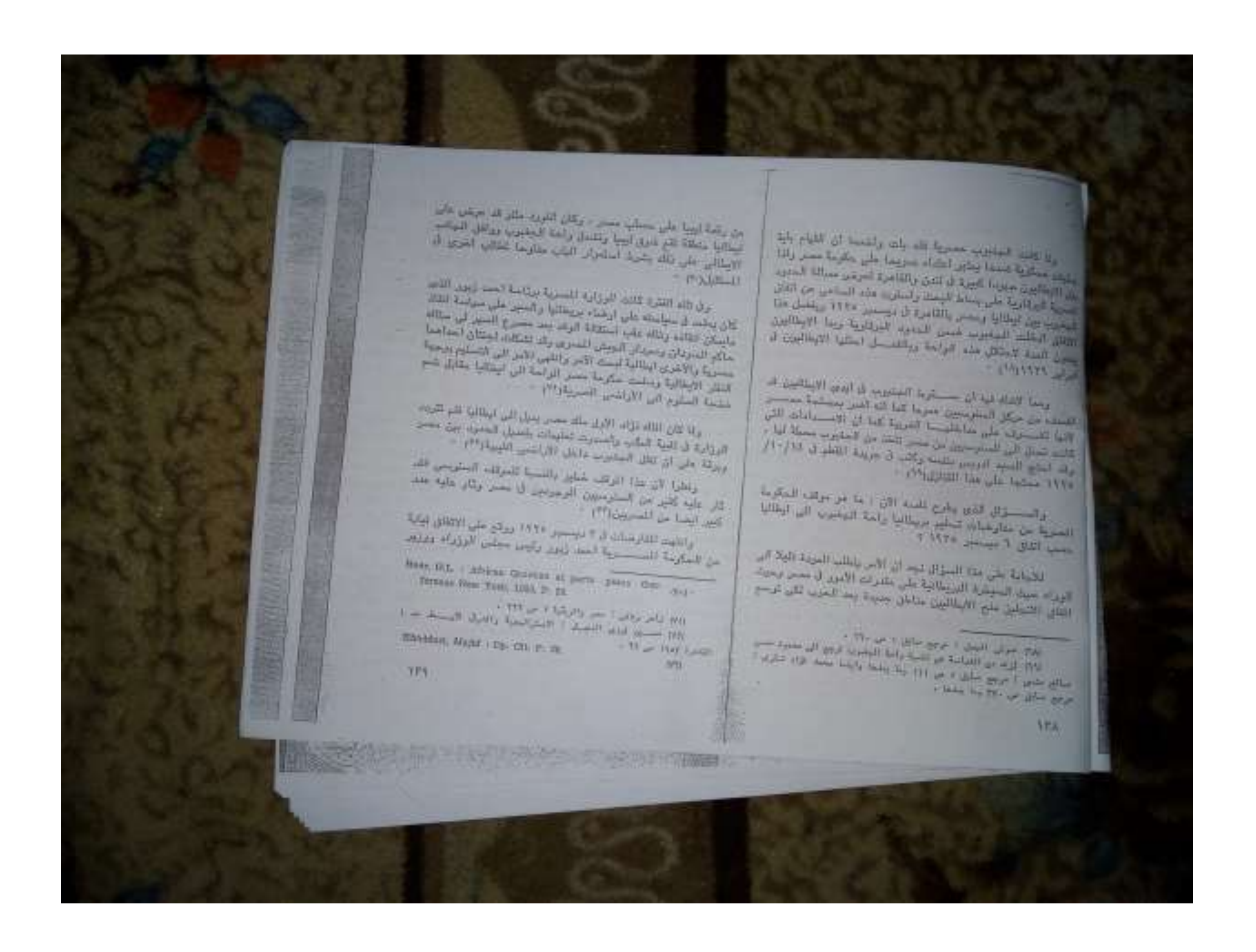
(٦٤) نقولا زيادة : مرجع سابق ، ص ١٠٥ .

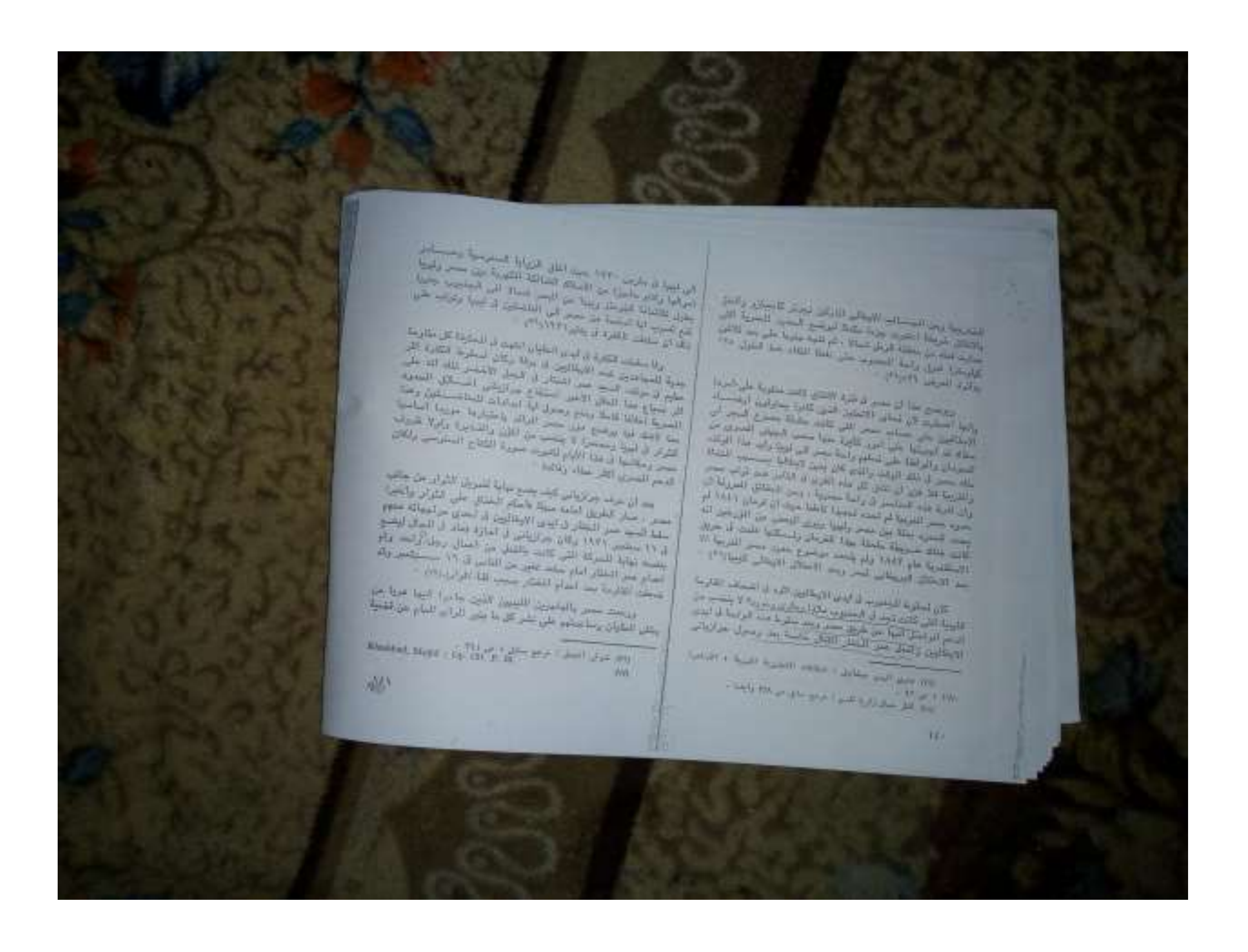
(٦٥) نقولا زيادة : مرجع سابق ، ص ١٢٠ .

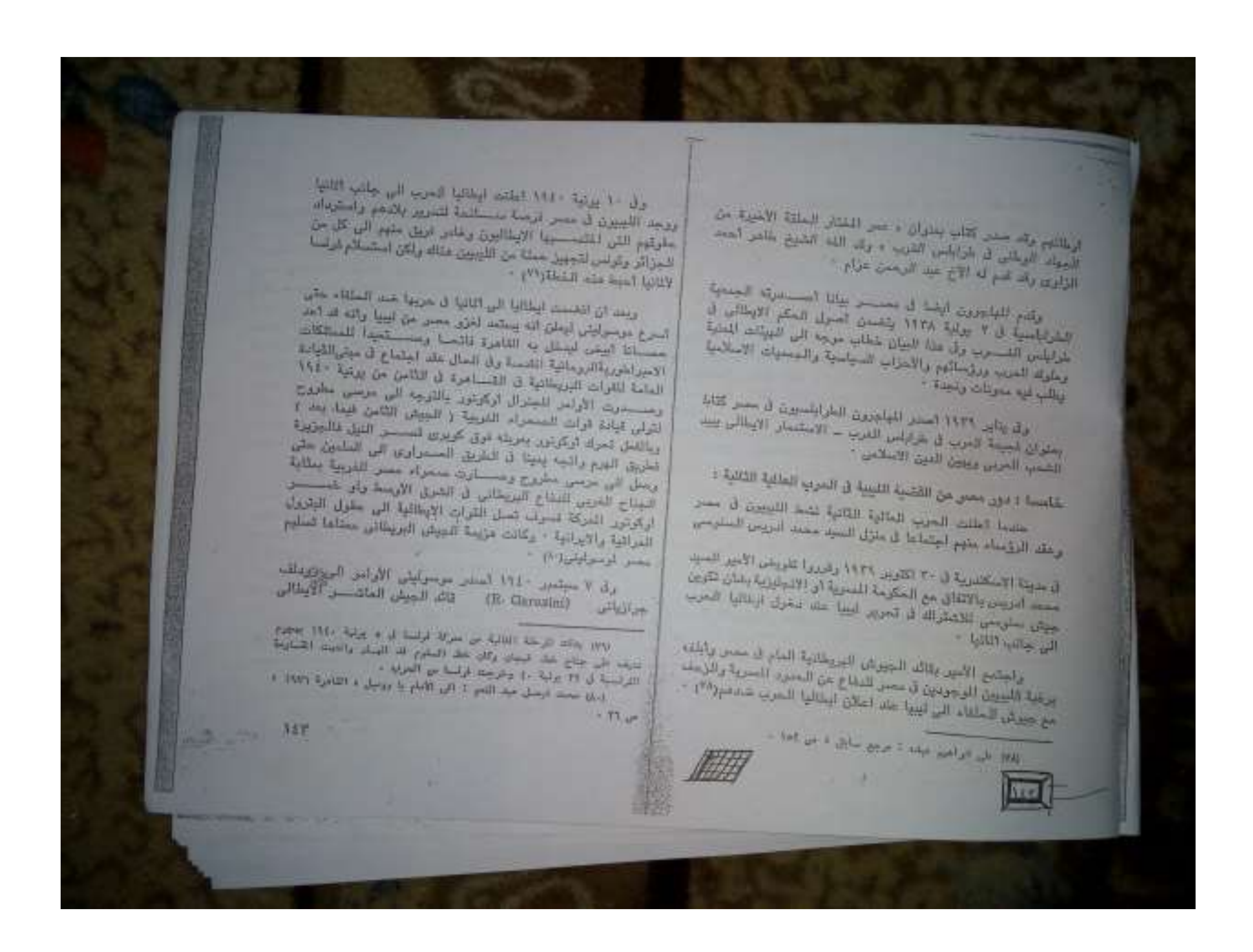
(٦٦) محمود حسن صالح منسي : مرجع سابق ص ١١١ .

(٦٧) محمد فؤاد شكري : مرجع سابق ، ص ٢٧٥ .

١٣٧







ارماثهم وقد صدر كتاب بعنوان « عمر المختار الحلقة الاخيرة من الجهاد الوطني في طرابلس الغرب » وقد الفه الشيخ طاهر أحمد الزاوي وقد قدم له الاخ عبد الرحمن عزام .

وقدم المهاجرون أيضا في مصر بيانا استنكروا فيه الجنسية الطرابلسية في ٧ يوليه ١٩٣٨ يتضمن أصول الحكم الايطالي في طرابلس الغرب وفي هذا البيان خطاب موجه الى الهيئات المختلفة وملوك العرب ورؤسائهم والاحزاب السياسية والجمعيات الاسلامية يطلب فيه معونات ونجدة .

وفي يناير ١٩٣٩ اصدر المهاجرون الطرابلسيون في مصر كتابا بعنوان « جبهة العرب في طرابلس الغرب – الاستعمار الايطالي يبيد الشعب العربي ويحتل الدين الاسلامي » .

خامسا : دور مصر من القضية الليبية في الحرب العالمية الثانية :

عندما اعلنت الحرب العالمية الثانية نشط الليبيون في مصر وعقد الرؤساء منهم اجتماعا في منزل السيد محمد ادريس السنوسي في مدينة الاسكندرية في ٣٠ اكتوبر ١٩٣٩ وقرروا تفويض الأمير السيد محمد ادريس بالاتفاق مع الحكومة المصرية أو الانجليزية بشأن تكوين جيش سنوسي للاشتراك في تحرير ليبيا عند دخول ايطاليا الحرب الى جانب المانيا .

واجتمع الامير بقائد الجيوش البريطانية العام في مصر وأبلغه برغبة الليبيين الموجودين في مصر للدفاع عن الحدود المصرية والزحف مع جيوش الحلفاء الى ليبيا عند اعلان ايطاليا الحرب ضدهم(٣٨) .

(٣٨) علي ابراهيم عبده : مرجع سابق ، ص ١٥٢ .

وفي ١٠ يونية ١٩٤٠ اعلنت ايطاليا الحرب الى جانب المانيا ووجد الليبيون في مصر فرصة سانحة لتحرير بلادهم واسترداد حقوقهم التي اغتصبها الايطاليون وغادر فريق منهم الى كل من الجزائر وتونس لتجهيز حملة من الليبيين هناك ولكن استسلام فرنسا لالمانيا أحبط هذه الخطة(٣٩) .

وبعد ان انضمت ايطاليا الى المانيا في حربها ضد الحلفاء حتى اسرع موسوليني ليعلن انه يستعد لغزو مصر من ليبيا وانه قد اعد حصانا أبيض ليدخل به القاهرة فاتحا ومستعيدا للممتلكات الامبراطورية الرومانية القديمة وفي الحال عقد اجتماع في مبنى القيادة العامة للقوات البريطانية في القاهرة في الثامن من يونية ١٩٤٠ وصدرت الأوامر للجنرال اوكونور بالتوجه الى مرسى مطروح لتولي قيادة قوات الصحراء الغربية (الجيش الثامن فيما بعد) وبالفعل تحرك اوكونور بعربته فوق كوبري قصر النيل فالجزيرة فطريق الهرم واتجه يمينا في الطريق الصحراوي الى العلمين حتى وصل الى مرسى مطروح وصارت صحراء مصر الغربية بمثابة الجناح الغربي للدفاع البريطاني في الشرق الأوسط ولو خسر اوكونور المعركة لسوف تصل القوات الايطالية الى حقول البترول العراقية والايرانية . وكانت هزيمة الجيش البريطاني معناها تسليم مصر لموسوليني(٤٠) .

وفي ٧ سبتمبر ١٩٤٠ أصدر موسوليني الأوامر الى رودولف جرازياني (R. Graziani) قائد الجيش العاشر الايطالي

(٣٩) بدأت المرحلة الثانية من معركة فرنسا في ٥ يونية ١٩٤٠ بهجوم عنيف على جناح خط فيجان وكان خط السوم قد انهار وانتهت المقاومة الفرنسية في ٢٢ يونية ١٩٤٠ وخرجت فرنسا من الحرب .

(٤٠) محمد عبد الرحمن عبد المنعم : الى الأمام يا روميل ، القاهرة ١٩٨٦ ، ص ٣٦ .



بالهجوم على مصر خلال يومين فبدأ القائد الايطالي في التحرك نحو مرسى مطروح وعبر الحدود المصرية بأربع فرق وتشكيلات من المدرعات وأمام هذا الزحف الرهيب بدأت القوات البريطانية تنسحب وواصل جرازياني زحفه حتى سيدي براني أي على مسافة ٦٠ ميلا داخل حدود مصر وفي التاسع من ديسمبر ١٩٤٠ بدأت الحركة وسلمت بعض الوحدات الايطالية دون مقاومة وتعقبت القوات البريطانية في مسار فرقتين ايطاليتين وفي النهاية سحقت بريطانيا تشكيلات الجيش العاشر الايطالي وأسرت ١٣٠ الف جندي بينهم ستة جنرالات وتقدمت القوات البريطانية فاستولت على طبرق وبنغازي وتعطلت آمال موسوليني في دخول القاهرة . وبعد سحق الجيش الايطالي قرر الالمان الهجوم على مطارات الانجليز الامامية في الصحراء الغربية وترتب على ذلك تدمير كافة الطائرات البريطانية الموجودة في الجو وعلى الأرض(٨١) .

واضطرت بريطانيا الى الاستعانة بأسراب الطائرات المصرية الى جانب الطائرات الحربية ونظرا لأن الطائرات المصرية لم تكن معدة للحرب فقد بدأ تدريب الطيارين المصريين وقدمت لهم بريطانيا مخازن الذخيرة وسلمت المصريين حوالي خمسين مليون طلقة ذخيرة احتياطي وتوجهت القوات المقاتلة المصرية في الاشتراك في المعارك الحربية بعد أن وقف عزيز المصري في نشاط وهمة يحرض على الانجليز اثناء معسكرات التدريب(٨٢) .

وهكذا نجد أن مصر لم تقف متفرجة الأيدي في الحرب العالمية الثانية ورغم امكانياتها المحدودة ومحاولة الانجليز القضاء على

(٨١) [illegible]

(٨٢) [illegible]

قوتها العسكرية الا انها استطاعت أن تشارك في المعارك وأن تدرب الطيارين وأن تساعد القوات البريطانية للقضاء على قوات المحور الموجودة في ليبيا وأن تقف الى جانب الشعب الليبي في محنته أمام قوى ايطاليا والمانيا .

وأيدت بعض الليبيين في مصر وهيأت للجمعية الوطنية الطرابلسية الاجتماع لبحث الموقف واتخاذ ما تراه من اجراءات لمواجهة الموقف وبناء على اجتماع الجمعية الوطنية الطرابلسية البرقاوية التي اجتمعت في القاهرة في الثامن من اغسطس ١٩٤٠ تقرر بالاجماع وضع الثقة في بركة بريطانيا العظمى واعلان الامارة السنوسية والثقة التامة بالأمير محمد ادريس المهدي التابع له بالامارة على القطرين وخوض غمار الحرب ضد ايطاليا بجانب الجيوش البريطانية وكذلك للوصول الى سمو الأمير بمراجعة بريطانيا لعقد الاتفاقات والمعاهدات السياسية والمالية التي تحقق أغراض الامارة السنوسية(٨٣) .

ولقد ظهر اهتمام مصر بقضية ليبيا حتى أن بدأ النظر في ابرام الصلح مع ايطاليا ورومانيا والمجر وبلغاريا وفنلندة من حلفاء المانيا السابقين وبذلت مصر قصارى جهدها للاشتراك في اية تسوية تمس مستقبلها .

وقام الليبيون في مصر بالتبرع بالأموال وتقديم أنفسهم للتطوع في معسكر التدريب الذي اقيم في امبابة وقد بلغ عدد المتطوعين ما يزيد على ١٠٠٠ ليبي صاروا بعد ذلك السند الأكبر للحلفاء في حملاتهم ضد قوى المحور في افريقيا وساهموا بالعمل في الحرب كما تضمنت

(٨٣) انظر نص القرار الذي [illegible] ٩ اغسطس ١٩٤٠ [illegible] مرجع سابق ، ص ١٢٠ – ١٢١ .



بمعسكرات تدريب الليبيين في الحمام والسويس والصحراء الغربية والفيوم وغيرها وبلغ عدد الذين تم تدريبهم من الليبيين في مصر نحو ١٥ ألف من الجنود وثلاثة وعشرين من الضباط وقد قام عدد كبير منهم إلى جانب الاشتراك في المعارك الحربية بحراسة مهمات الجيش الثامن البريطاني في مصر وكذلك مخازن الذخيرة ومراكز المخابرات اللاسلكية والتموين والمطارات وقام هذا الجيش بواجبه خير قيام حتى تم إخراج الايطاليين نهائيا من ليبيا في فبراير ١٩٤٣(٨٤).

وكانت بريطانيا قد وعدت مصر بإشراكها في أي مؤتمرات للصلح عند نظر قضية ليبيا وإذا كانت مصر لم تعلن الحرب إلا في عام ١٩٤٥ إلا أنها كانت في حرب فعلية مع ايطاليا منذ ١٠ يونية ١٩٤٠ (أي من تاريخ دخول ايطاليا الحرب) وبذلت مصر قصارى جهدها في التدريب وعلى سبيل المثال فقد وضعت تحت تصرف الحلفاء الجنود ووسائل الدفاع اللازمة والقواعد الهامة كما اشتركت بالفعل في مقاومة الغزو الجوي وفي صد العدوان الايطالي(٨٥).

كذلك قامت الحكومة المصرية فور إعلان بريطانيا الحرب على ألمانيا في ٣ سبتمبر ١٩٣٩ بوضع الموانئ المصرية تحت رقابة القيادة العسكرية البريطانية وفرض الرقابة على البريد والصحف والبرق(٨٦).

لقد كان لخروج الايطاليين من ليبيا صداه العميق في نفوس الليبيين والمصريين على حد سواء وعبرت الصحف المصرية عن سرورها لتحرير شعب ليبيا العربي من الاستبداد والظلم الايطالي

(٨٤) شوقي الجمل : مرجع سابق ص ٣٦٩ وأيضا عبده علي ابراهيم مرجع سابق ص ١٤٣.

(٨٥) محمد فؤاد شكري : ميلاد دولة ليبيا الحديثة الجزء الأول المجلد الأول القاهرة ١٩٥٧ ص ٤٨.

(٨٦) محمد فيصل عبد المنعم : مرجع سابق ، ص ٤٩.

١٤٦

وأقام الجيش السنوسي معسكراته مؤقتا في مصر انطلاقا نحو الغرب وقد عسكر السيد ادريس السنوسي في أحد معسكرات الجيش الليبي بالصحراء وبعد خروج ايطاليا رحل عدد كبير من الليبيين المقيمين في مصر إلى ليبيا وكما نقلت جموع معسكرات التدريب السنوسية في مصر إلى ليبيا وساندت هذه القوات السنوسية قوات الحلفاء المنتصرين في ليبيا(٨٧).

وبعد خروج الايطاليين من ليبيا أقيمت بها ادارات عسكرية ثلاث الأولى الادارة البريطانية في كل من برقة وطرابلس والثالثة الادارة الفرنسية في منطقة فزان على أساس أن فرنسا هي التي حررت هذا الجزء وأخرجت الطليان من هذه المنطقة . واهتمت مصر بقضية ليبيا باعتبار أن مصر يومها تأمين حدودها الغربية .

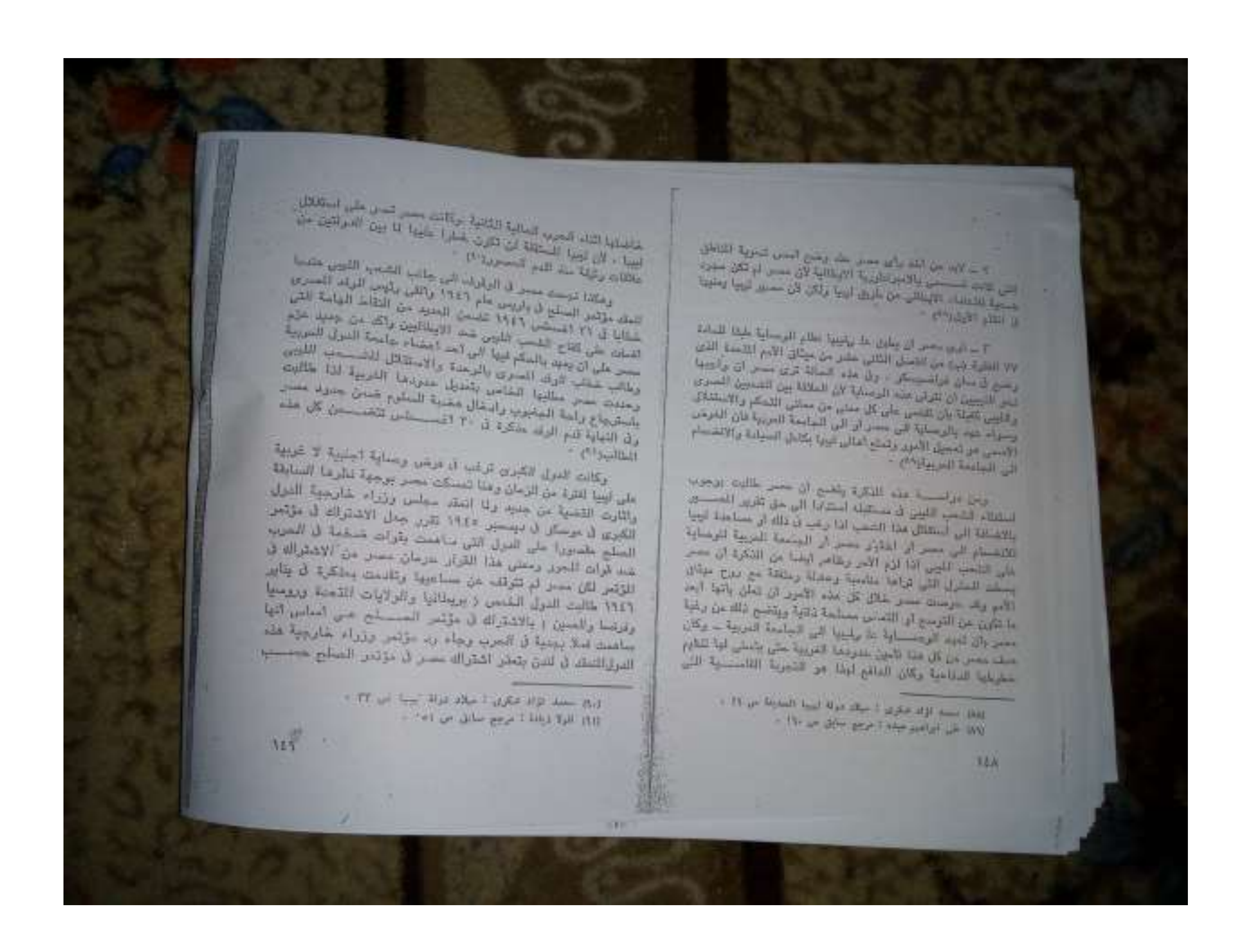
سادسا : دور مصر الدولي في دعم القضية الليبية بعد الحرب العالمية الثانية :

وبدأ الاهتمام المصري بقضية ليبيا منذ بداية ابرام معاهدات الصلح مع ايطاليا وألمانيا وبذلت مصر قصارى جهدها لتوضيح وجهة النظر المصرية بخصوص تقرير مصير ليبيا واتخذت مصر عدة خطوات في هذا السبيل ومنها على سبيل المثال لا الحصر أنه في ١٢ سبتمبر ١٩٤٥ قدمت مصر شكوى الى مجلس خارجية الدول الكبرى الذي اجتمع في لندن وقد تضمنت المذكرة بعض الأسس التي اقترحتها مصر لحل مشكلة ليبيا ومنها :

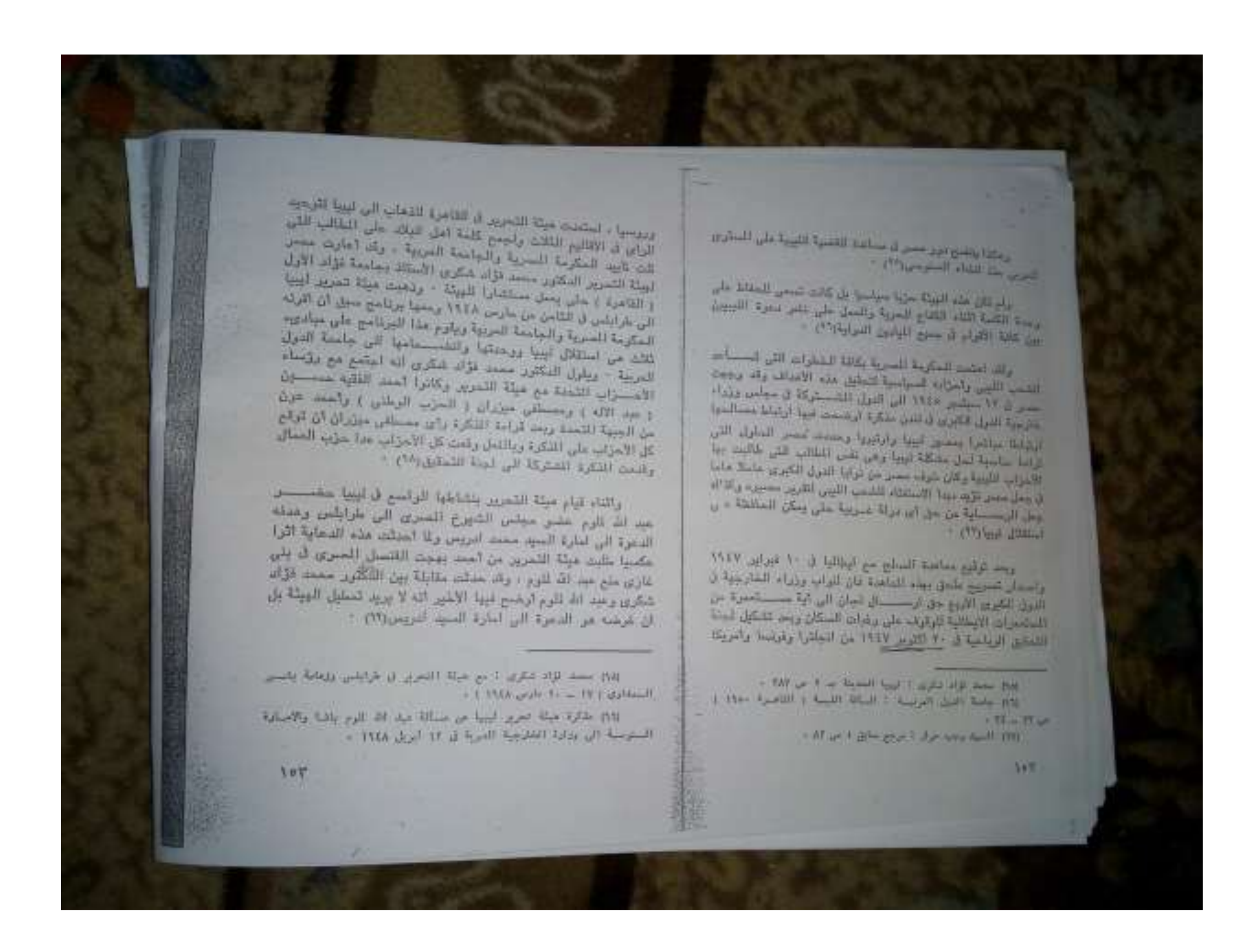
١ ـ ضرورة استفتاء أهالي ليبيا الذين دافعوا عن بلادهم ضد الاعتداء الايطالي وأثبتوا القدرة على التنظيم وبذلك أصبحوا أحق في تقرير المصير .

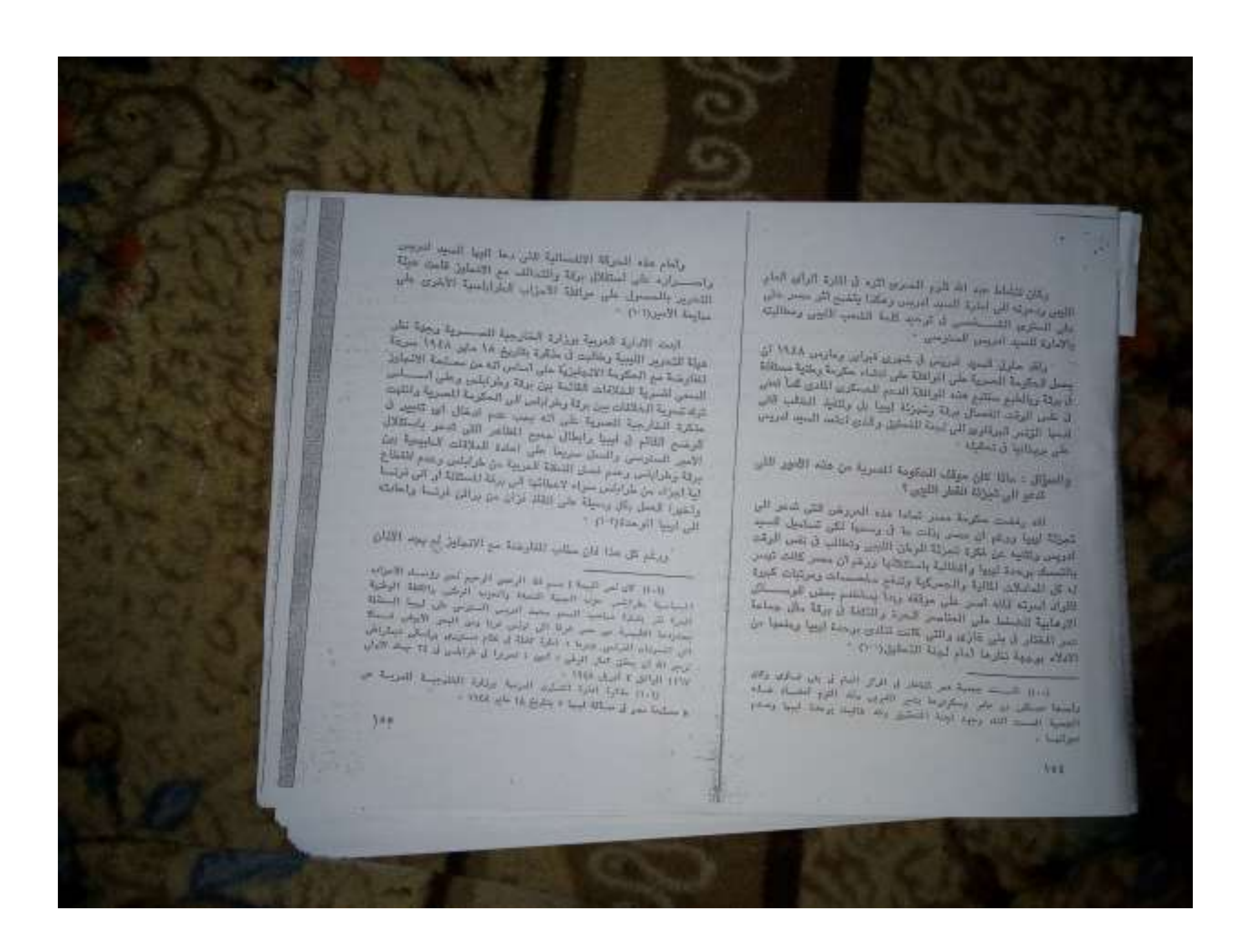
(٨٧) علي ابراهيم عبده : مرجع سابق ص ١٥٥ .

١٤٧









والسؤال : ماذا كان موقف الحكومة المصرية من هذه الامور التي تدعو الى تجزئة القطر الليبي ؟



السياسية سواء من عبد الرحمن عزام أمين عام الجامعة العربية ولا من حكومة النقراشي وحاول بشير السعداوي أن يزيل سوء التفاهم مع السيد ادريس وبالفعل ليجتمع بالظاهر المصري أبو الذهب في مجلس النواب وأحد أعيان مديرية البحيرة واتفقا على أن يقوم الظاهر بارسال برقية الى السيد ادريس بقصد فتح الباب لإزالة سوء التفاهم والعمل من أجل وحدة طرابلس وبرقة(١٠٢) .

وجاء رد السيد ادريس في ٣ مايو ١٩٤٨ موضحا أن هيئة التحرير هي التي اوجدت الجو الفاسد فيما بين البلدين وهي المسؤولة أمام الله والتاريخ وليس في الامكان ارغام احداهما وكان التعليق البسيط الذي قاله الظاهر المصري على برقية السيد ادريس ، وكان (لابد) خلون(١٠٣) .

وإزاء هذه المواقف قامت لجنة التحقيق الرباعية بعد زيارتها ليبيا (من ٦ مارس حتى ٢٠ مايو ١٩٤٨) بزيارة روما واستمعت إلى بعض الايطاليين الذين كانوا في ليبيا ثم قدمت تقريرها عن الأحوال في ليبيا(١٠٤) .

ووضح التقرير الذي شمل ... احدهما فرنسي انجليزي أمريكي والآخر سوفيتي بأن الوعي السياسي مختلف في طرابلس الغرب وأن عددا كبيرا من السكان ليست لديه الفكرة عن أشكال الحكم ، ولكن همهم تأمين حاجاتهم الضرورية ، كما أفاد التقرير أن الدعاية قد نشطت بعد وصول هيئة تحرير ليبيا من القاهرة الى طرابلس(١٠٥) .

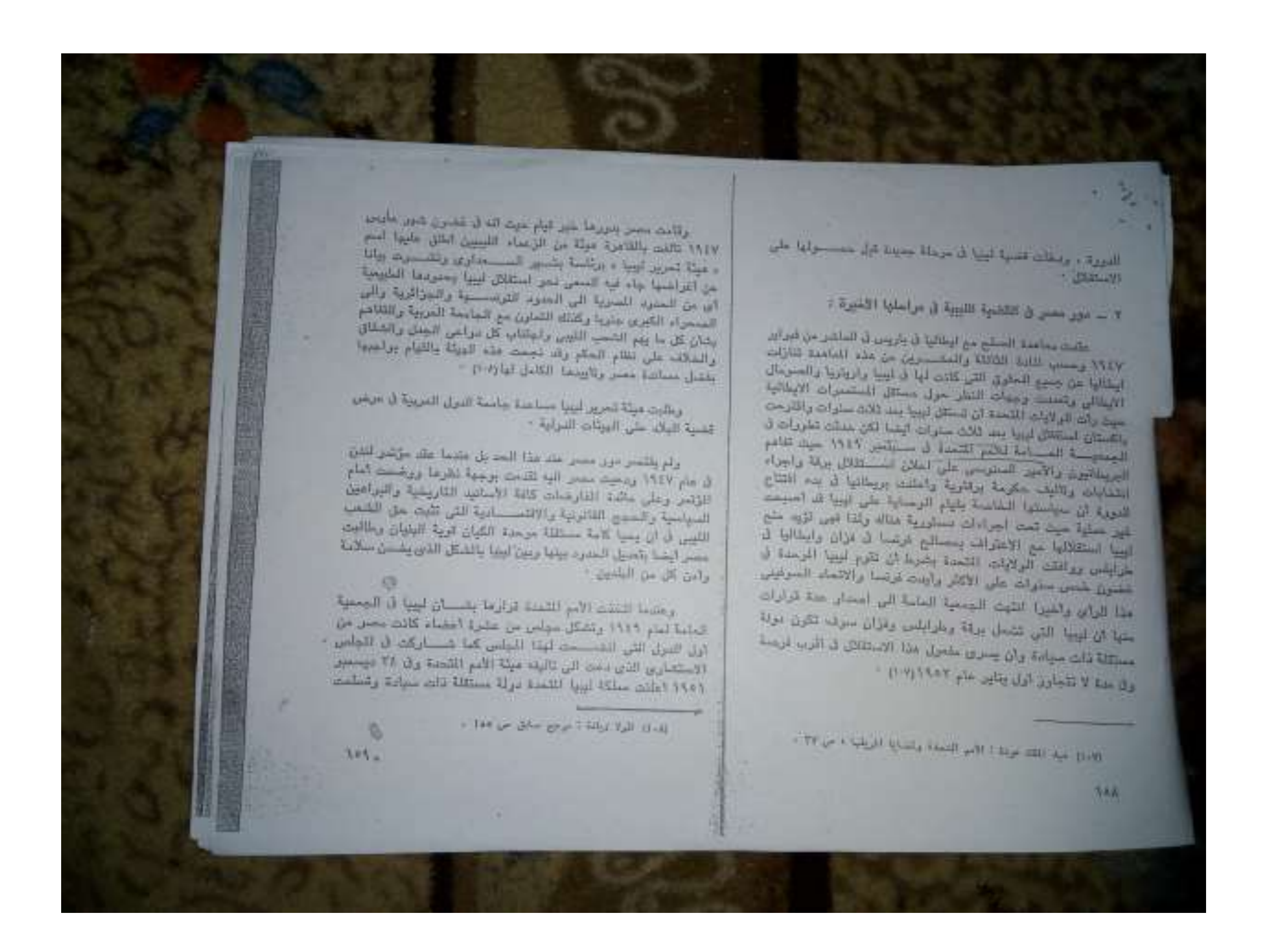
(١٠٢) انظر البرقية في ... السيد وجيه ... : مرجع سابق ، ص ٨٢ .
(١٠٣) محمد فؤاد شكري : مع هيئة التحرير في طرابلس الغرب ... بشير السعداوي) ٢١ – ٣٠ مايو ١٩٤٨ .
(١٠٤) Khadduri, M : Op. Cit. P. 121.
(١٠٥) السيد وجيه ... : مرجع سابق ، ص ٨٥ – ٨٧ .

١٥٦

لما النص السوفيتي فقد أشار الى أن اللجنة وجدت ليبيا بخلاف المستعمرات (أريتريا والصومال) تقابل كبار رجال الدين الاسلامي في مصر (فتاوى هيئة علماء الأزهر بالقاهرة) وهذه الفتاوى التي نشرت في ليبيا كانت تدعو السكان المطالبة بالاستقلال والوحدة والانضمام الى الجامعة العربية وقد نشرت هذه الفتاوى في الصحف المحلية وكان لها أثر كبير في توجيه السكان وقت تحقيق اللجنة كما أشارت اللجنة الى أهمية المهاجرين الليبيين الذين كانوا في المنفى أثناء الادارة البريطانية خصوصا في مصر ثم عادوا الى ليبيا بعد الاحتلال البريطاني وأشار النص السوفيتي أيضا الى أن غالبية رغبات السكان طالبت بالوحدة والانضمام الى الجامعة العربية .

وبالطبع كان دور مصر واضحا أثناء تحقيقات هذه اللجنة الرباعية وكان للجهد المصري أثره في احاطة اللجنة علما بأن رغبات غالبية السكان تطالب بالوحدة والاستقلال لولا جهود مصر في هذا المضمار لنجحت المحاولة الانفصالية لفصل برقة ليبيا خاصة محاولات بريطانيا لاستقلال برقة تحت زعامة السيد ادريس وهو الأمر الذي وقفت فيه مصر موقفا حازما وعرقلت كافة الجهود الانفصالية مما كان له صداه أثناء تحقيقات اللجنة الرباعية ولكن بسبب اخفاق الدول الأربع الكبرى في التوصل الى اتفاق فيما يتعلق بشأن المستعمرات الايطالية السابقة فقد انتقلت قضية ليبيا الى الأمم المتحدة وذلك ابتداء من ١٥ سبتمبر ١٩٤٨ وأصبح من المقرر نظر القضية أمام الجمعية العامة في دورتها الثالثة في باريس وتألف وفد ليبي من بشير السعداوي وابنه عبد الحميد السعداوي والدكتور محمد فؤاد شكري مستشار هيئة التحرير وقام هذا الوفد بالتعريف بالقضية الليبية لكن في ٨ ديسمبر ١٩٤٨ صدر قرار الجمعية العامة بتأجيل موضوع المستعمرات الايطالية حتى القسم الثاني من هذه

١٥٧



الدورة ، ودخلت قضية ليبيا في مرحلة جديدة تؤول حصولها على الاستقلال .

٢ ــ دور مصر في القضية الليبية في مراحلها الأخيرة :

عقدت معاهدة الصلح مع ايطاليا في باريس في العاشر من فبراير ١٩٤٧ وبسبب المادة الثالثة والعشرين من هذه المعاهدة تنازلت ايطاليا عن جميع الحقوق التي كانت لها في ليبيا وارتيريا والصومال الايطالي وتباينت وجهات النظر حول مستقبل المستعمرات الايطالية حيث رأت الولايات المتحدة ان تستقل ليبيا بعد ثلاث سنوات واقترحت باكستان استقلال ليبيا بعد ثلاث سنوات ايضا لكن حدثت تطورات في الجمعية العامة للأمم المتحدة في سبتمبر ١٩٤٩ حيث تقدم البريطانيون والأمير السنوسي على اعلان استقلال برقة واجراء انتخابات وتأليف حكومة برقاوية واعلنت بريطانيا في بدء افتتاح الدورة أن سياستها الخاصة بقيام الوصاية على ليبيا قد اصبحت غير عملية حيث تمت اجراءات دستورية هناك ولذا فهي تؤيد منح ليبيا استقلالها مع الاعتراف بمصالح فرنسا في فزان وايطاليا في طرابلس ووافقت الولايات المتحدة بشرط ان تقوم ليبيا الموحدة في غضون خمس سنوات على الأكثر وأيدت فرنسا والاتحاد السوفيتي هذا الرأي واخيرا انتهت الجمعية العامة الى اصدار عدة قرارات منها أن ليبيا التي تشمل برقة وطرابلس وفزان سوف تكون دولة مستقلة ذات سيادة وأن يسري مفعول هذا الاستقلال في أقرب فرصة وفي مدة لا تتجاوز أول يناير عام ١٩٥٢ (١٠٧) .

(١٠٧) عبد الملك عودة : الأمم المتحدة والقضايا الافريقية ، ص ٣٧ .

١٥٨

وقامت مصر بدورها خير قيام حيث انه في غضون شهر مارس ١٩٤٧ تألفت بالقاهرة هيئة من الزعماء الليبيين اطلق عليها اسم « هيئة تحرير ليبيا » برئاسة بشير السعداوي وتضمنت بيانا عن أغراضها جاء فيه السعي نحو استقلال ليبيا بحدودها الطبيعية أي من الحدود المصرية الى الحدود التونسية والجزائرية والى الصحراء الكبرى جنوبا وكذلك التعاون مع الجامعة العربية والتفاهم بشأن كل ما يهم الشعب الليبي وانتخاب كل نواحي الحكم والخلاف على نظام الحكم وقد نجحت هذه الهيئة بالقيام بواجبها بفضل مساندة مصر وتأييدها الكامل لها (١٠٨) .

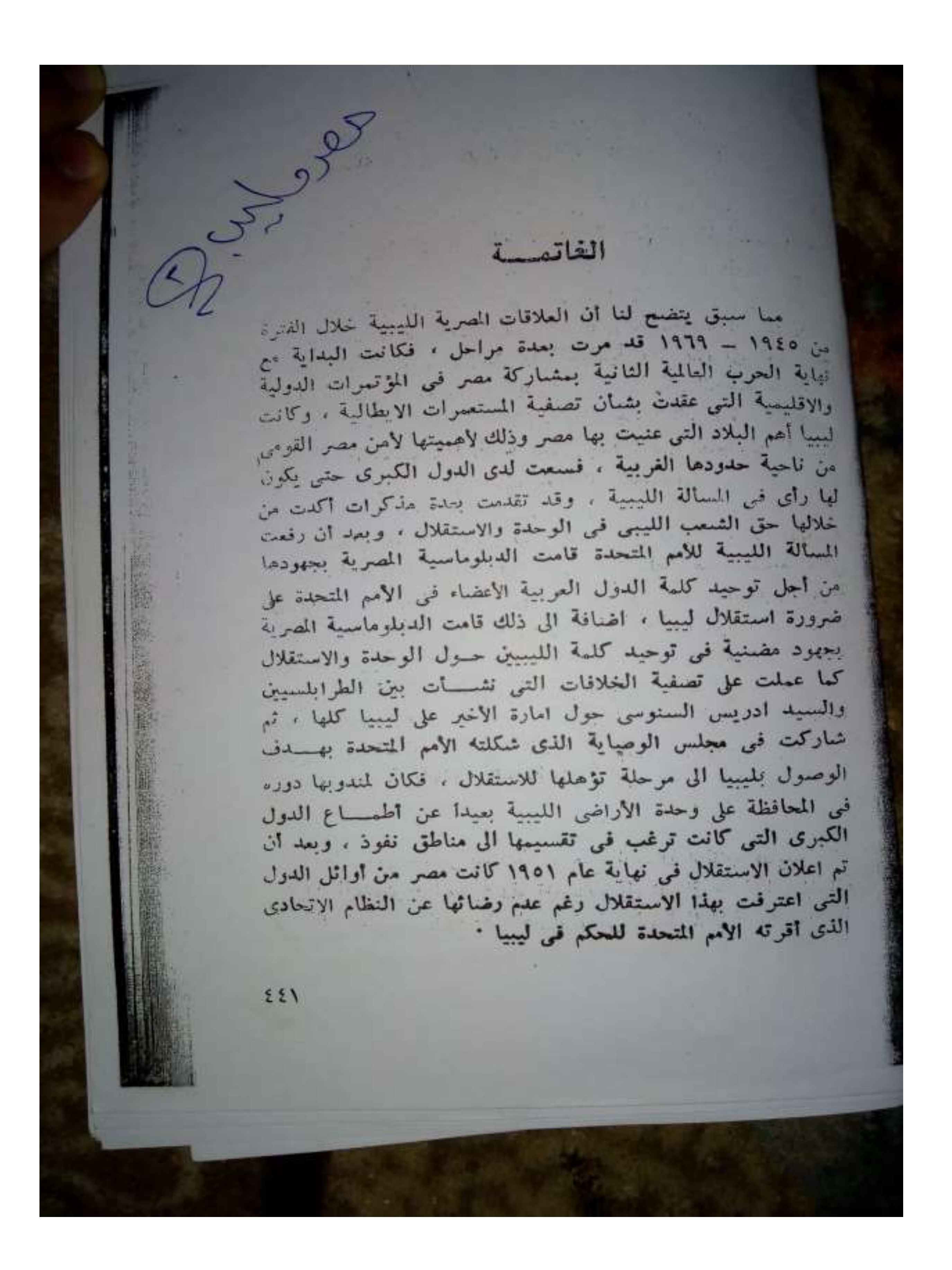
وطالبت هيئة تحرير ليبيا مساندة جامعة الدول العربية في عرض قضية البلاد على الهيئات الدولية .

ولم يقتصر دور مصر عند هذا الحد بل عندما عقد مؤتمر لندن في عام ١٩٤٧ وجهت مصر اليه مذكرة بوجهة نظرها ووضعت أمام المؤتمر وعلى مائدة المفاوضات كافة الأسانيد التاريخية والبراهين السياسية والحجج القانونية والاقتصادية التي تثبت حق الشعب الليبي في أن يحيا كأمة مستقلة موحدة الكيان قوية البنيان وطالبت مصر ايضا بتعديل الحدود بينها وبين ليبيا بالشكل الذي يضمن سلامة وأمن كل من البلدين .

وعندما اتخذت الأمم المتحدة قرارها بشأن ليبيا في الجمعية العامة لعام ١٩٤٩ وتشكل مجلس من عشرة أعضاء كانت مصر من أول الدول التي انضمت لهذا المجلس كما شاركت في المجلس الاستشاري الذي دعت الى تأليفه هيئة الأمم المتحدة وفي ٢٤ ديسمبر ١٩٥١ اعلنت مملكة ليبيا المتحدة دولة مستقلة ذات سيادة وشملت

(١٠٨) نقولا زيادة : مرجع سابق ص ١٥٥ .

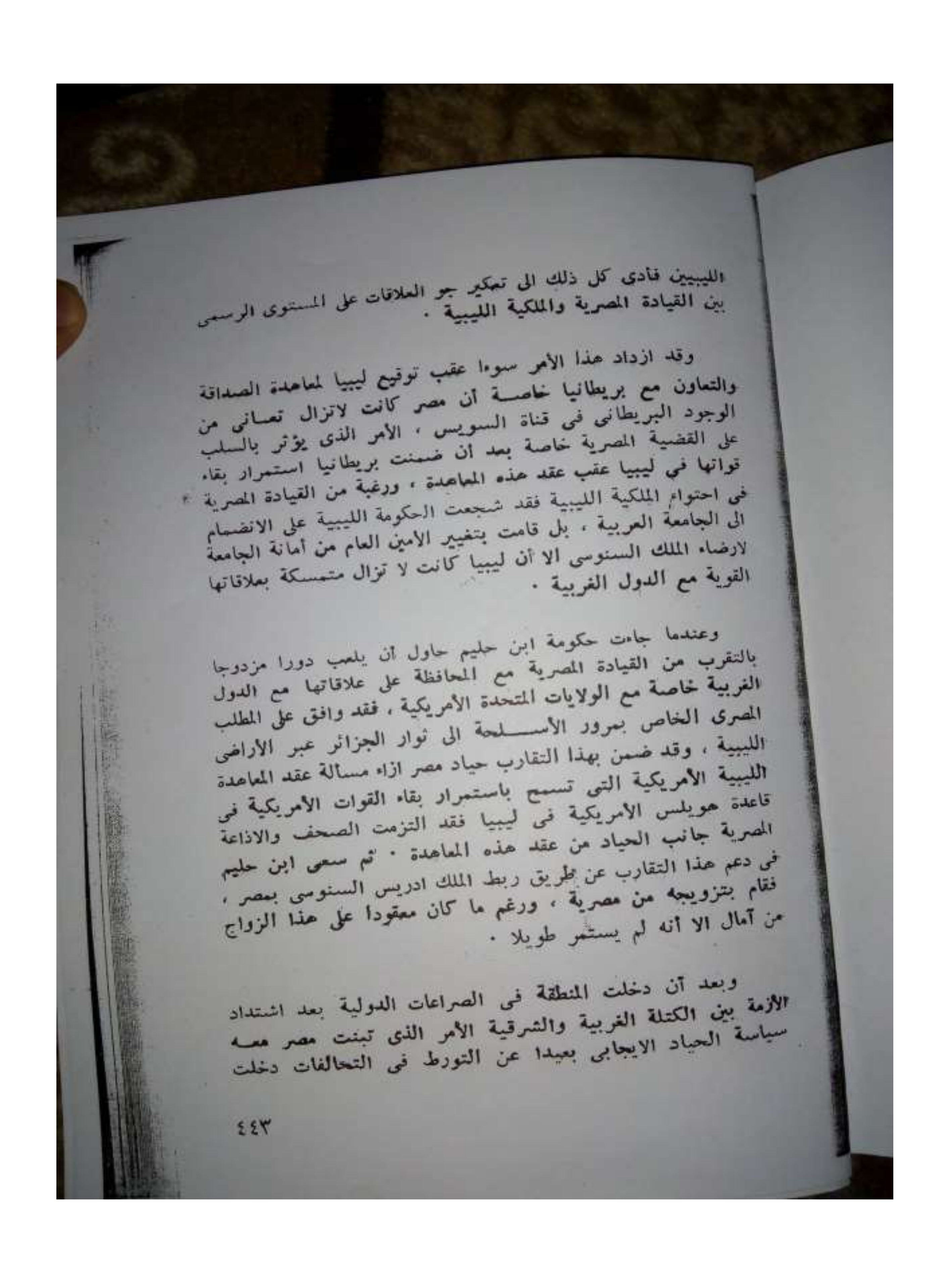
١٥٩



الخاتمــة

مما سبق يتضح لنا أن العلاقات المصرية الليبية خلال الفترة من ١٩٤٥ – ١٩٦٩ قد مرت بعدة مراحل ، فكانت البداية مع نهاية الحرب العالمية الثانية بمشاركة مصر فى المؤتمرات الدولية والاقليمية التى عقدت بشأن تصفية المستعمرات الايطالية ، وكانت ليبيا أهم البلاد التى عنيت بها مصر وذلك لأهميتها لأمن مصر القومى من ناحية حدودها الغربية ، فسعت لدى الدول الكبرى حتى يكون لها رأى فى المسالة الليبية ، وقد تقدمت بعدة مذكرات أكدت من خلالها حق الشعب الليبى فى الوحدة والاستقلال ، وبعد أن رفعت المسالة الليبية للأمم المتحدة قامت الدبلوماسية المصرية بجهودها من أجل توحيد كلمة الدول العربية الأعضاء فى الأمم المتحدة على ضرورة استقلال ليبيا ، اضافة الى ذلك قامت الدبلوماسية المصرية بجهود مضنية فى توحيد كلمة الليبيين حـول الوحدة والاستقلال كما عملت على تصفية الخلافات التى نشــأت بين الطرابلسيين والسيد ادريس السنوسى حول امارة الأخير على ليبيا كلها ، ثم شاركت فى مجلس الوصاية الذى شكلته الأمم المتحدة بهــدف الوصول بليبيا الى مرحلة تؤهلها للاستقلال ، فكان لمندوبها دوره فى المحافظة على وحدة الأراضى الليبية بعيداً عن أطمـــاع الدول الكبرى التى كانت ترغب فى تقسيمها الى مناطق نفوذ ، وبعد أن تم اعلان الاستقلال فى نهاية عام ١٩٥١ كانت مصر من أوائل الدول التى اعترفت بهذا الاستقلال رغم عدم رضائها عن النظام الاتحادى الذى أقرته الأمم المتحدة للحكم فى ليبيا ·

٤٤١



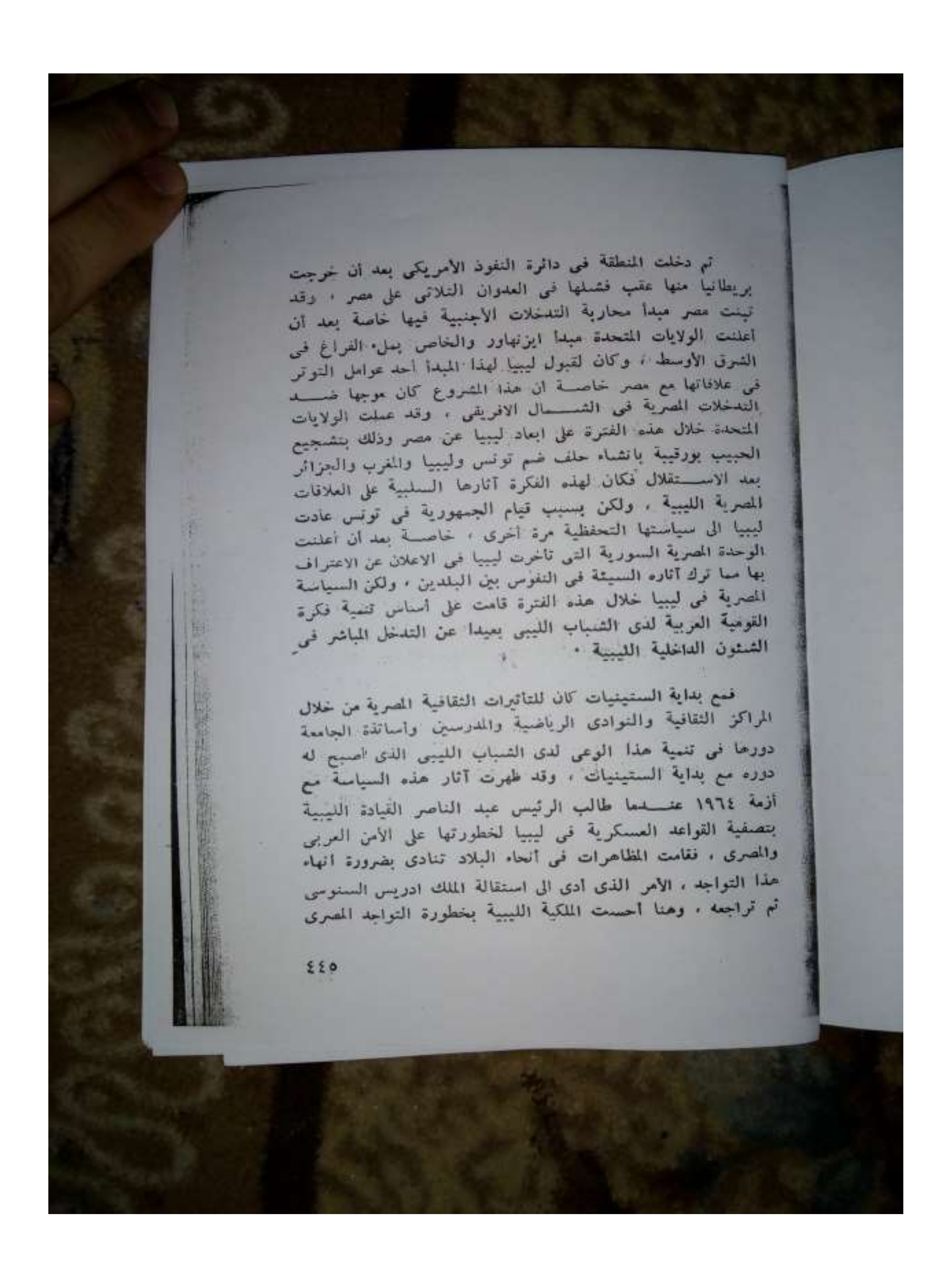
الليبيين فأدى كل ذلك الى تعكير جو العلاقات على المستوى الرسمى
بين القيادة المصرية والملكية الليبية .

وقد ازداد هذا الأمر سوءا عقب توقيع ليبيا لمعاهدة الصداقة
والتعاون مع بريطانيا خاصة أن مصر كانت لاتزال تعانى من
الوجود البريطانى فى قناة السويس ، الأمر الذى يؤثر بالسلب
على القضية المصرية خاصة بعد أن ضمنت بريطانيا استمرار بقاء
قواتها في ليبيا عقب عقد هذه المعاهدة ، ورغبة من القيادة المصرية
فى احتواء الملكية الليبية فقد شجعت الحكومة الليبية على الانضمام
الى الجامعة العربية ، بل قامت بتغيير الأمين العام من أمانة الجامعة
لارضاء الملك السنوسى الا أن ليبيا كانت لا تزال متمسكة بعلاقاتها
القوية مع الدول الغربية .

وعندما جاءت حكومة ابن حليم حاول أن يلعب دورا مزدوجا
بالتقرب من القيادة المصرية مع المحافظة على علاقاتها مع الدول
الغربية خاصة مع الولايات المتحدة الأمريكية ، فقد وافق على المطلب
المصرى الخاص بمرور الأسلحة الى ثوار الجزائر عبر الأراضى
الليبية ، وقد ضمن بهذا التقارب حياد مصر ازاء مسألة عقد المعاهدة
الليبية الأمريكية التى تسمح باستمرار بقاء القوات الأمريكية فى
قاعدة هويلس الأمريكية فى ليبيا فقد التزمت الصحف والاذاعة
المصرية جانب الحياد من عقد هذه المعاهدة . ثم سعى ابن حليم
فى دعم هذا التقارب عن طريق ربط الملك ادريس السنوسى بمصر ،
فقام بتزويجه من مصرية ، ورغم ما كان معقودا على هذا الزواج
من آمال الا أنه لم يستمر طويلا .

وبعد أن دخلت المنطقة فى الصراعات الدولية بعد اشتداد
الأزمة بين الكتلة الغربية والشرقية الأمر الذى تبنت مصر معه
سياسة الحياد الايجابى بعيدا عن التورط فى التحالفات دخلت

٤٤٣



ثم دخلت المنطقة فى دائرة النفوذ الأمريكى بعد أن خرجت بريطانيا منها عقب فشلها فى العدوان الثلاثى على مصر ، وقد تبنت مصر مبدأ محاربة التدخلات الأجنبية فيها خاصة بعد أن أعلنت الولايات المتحدة مبدأ ايزنهاور والخاص بملء الفراغ فى الشرق الأوسط ، وكان لقبول ليبيا لهذا المبدأ أحد عوامل التوتر فى علاقاتها مع مصر خاصة ان هذا المشروع كان موجها ضد التدخلات المصرية فى الشمال الافريقى ، وقد عملت الولايات المتحدة خلال هذه الفترة على ابعاد ليبيا عن مصر وذلك بتشجيع الحبيب بورقيبة بانشاء حلف ضم تونس وليبيا والمغرب والجزائر بعد الاستقلال فكان لهذه الفكرة آثارها السلبية على العلاقات المصرية الليبية ، ولكن بسبب قيام الجمهورية فى تونس عادت ليبيا الى سياستها التحفظية مرة أخرى ، خاصة بعد أن أعلنت الوحدة المصرية السورية التى تأخرت ليبيا فى الاعلان عن الاعتراف بها مما ترك آثاره السيئة فى النفوس بين البلدين ، ولكن السياسة المصرية فى ليبيا خلال هذه الفترة قامت على أساس تنمية فكرة القومية العربية لدى الشباب الليبى بعيدا عن التدخل المباشر فى الشئون الداخلية الليبية .

فمع بداية الستينيات كان للتأثيرات الثقافية المصرية من خلال المراكز الثقافية والنوادى الرياضية والمدرسين وأساتذة الجامعة دورها فى تنمية هذا الوعى لدى الشباب الليبى الذى أصبح له دوره مع بداية الستينيات ، وقد ظهرت آثار هذه السياسة مع أزمة ١٩٦٤ عندما طالب الرئيس عبد الناصر القيادة الليبية بتصفية القواعد العسكرية فى ليبيا لخطورتها على الأمن العربى والمصرى ، فقامت المظاهرات فى أنحاء البلاد تنادى بضرورة انهاء هذا التواجد ، الأمر الذى أدى الى استقالة الملك ادريس السنوسى ثم تراجعه ، وهنا أحست الملكية الليبية بخطورة التواجد المصرى

٤٤٥